مراد داود

# وتستمر الأحلام ..

رواية

**تدقيق لغوي :**

**أ . حسين الجندي**

**تصميم الغلاف :**

**علاء وضياء مراد داؤد**

# إهداء ...

**إلى رفيقة العمر الحبيبة**

**إلى أولادي الأعزاء**

**إلى رفاق دربي من أخوة وأصدقاء**

## مقدمة

## " ضوء على محاولة بكر "

كانت الظلال كافية لإمتاعنا في باحة دارنا ظهر نهار الجمعة
جاء مع محاولته البكر بعد هاتفين ، منه ثم مني... وقعدنا متقابلين بعد أن ألقى على طاولة متواضعة كراسا وليداً حوى ورقات طبعت على وجه واحد منها فقط . وكان الكراس هو قماط محاولته التي سماها بجرأة ﴿ **وتستمر الأحلام** ﴾

وكتب اسم أبيها فوقها بحرف بدائي ﴿ **مراد داؤد** ﴾ .

كان هذا الأب المعرفي من أبنائنا الذين نعتز بهم خلقاً وذكاءً ، منجَبين ومنجِبين .....
وطلب مني- وطلب النجباء عذب - ..... طلب مني أن أعمد ابنته البكر .... لثقته بمعمودية أهله الحميمين .

وقبل أن يدخل يوم السبت أنهيت كل ما أوكل إلي ورفعت إلى مؤسسة البحوث في المحاولات الأبكار ما يلي:

١) الاسم : ..... وتستمر الأحلام
٢) المبدع : ..... مراد داؤد
٣) تاريخ الإبداع السابق: ..... أبداً
٤) مكان الإبداع : ..... حقول الأحلام
٥) المهمة المترتبة اجتماعياً على المحاولة : .....
..... إيقاظ المخدرين بسموم عبودية الوهم المقدس

٦) الوسائل والأجهزة المتبعة للإيقاظ :

أ- مرايا التقاليد المقيدة
ب- التوأمة بين الواقع المر والواجب العذب
ج- الصراحة الصادرة على أجنحة الأحلام تطويراً لما أورده " Bidpay " بالسانسكريتية وما جادل به " أخوان الصفا " بالموسوعة الرسائلية. وذلك على ألسنة البهائم والطيور والحشرات وحتى الجماد

٧) الهدف والآلية : .....
.... صحوة الدماغ البشري من عقال الوهم ونطاق القدسية

ملقي الضوء البارد
د. إبراهيم فاضل
السلمية

لقد مر المجتمع البشري وعبر الزمن بمراحل عدة كان أهمها وأرقاها إنسانيا المرحلة التي سلك فيها المجتمع منهج المقايضة. هذا النظام الذي يضمن لكل فرد حقه بالحياة الآمنة والبعيدة عن كل استغلال وتسلط إذ لا فوارق ولا طبقات.

ولكن منذ أن انتهجت فئة من المجتمع إذ سعت لتملك وسائل وأدوات الإنتاج بشكل أناني الأمر الذي أدى لتقسيم وفرز المجتمع إلى فئتين الأولى هي المالكة لكل شيء والثانية لا تملك إلا جهدها وقوتها العضلية،عند ذلك بدأت المأساة.

فكلما زاد غنى ورفاهية الفئة الأولى زادت الثانية فقرا وتعتيراً واتساعاً لأن المنافسة وصراع المصالح السائد بين مكونات الفئة الأولى يؤدي بالنتيجة لانسلاخ بعضها وانضمامها للفئة الثانية التي تزداد اتساعا وبالمقابل تزداد الفئة الأولى رفاهية وبذخا وتسلطا على الفئة الثانية مستنزفة جهدها وقواها مقابل فتات لا يسد الرمق فكيف يتسنى لها تأمين وتلبية حاجات أسرها.

لذلك نجد كثيرا من أبناء تلك الفئة ممن اطلعوا وثقفوا أنفسهم واصطدموا بالواقع القاسي يلجؤون إلى الخيال،بحيث يمتطون متنه محلقين بأجنحته مسلمين قياد أنفسهم له محاولين إفراغ ما اعتمر وجاش في صدورهم آملين تحقيق أمانيهم هاربين أو متهربين من ذاك الواقع ولو لفترة وجيزة.

هذا ما حدث معه إذ كثر في الآونة الأخيرة تداوله للكتب،موسعا أفقه وفهمه لكل مجريات الحياة مما أدى لكثرة شروده وسهومه وخصوصا عندما يختلي لنفسه مطالعا موضوعا معينا،محاولا أن يعيش أحداثه بكامل تفاصيلها عبر خياله الواسع والخصب، وتحديدا عندما تسنح له الفرصة لزيارة قريته الواقعة بين غابة وارفة الظلال وبحيرة صغيرة رائقة المياه ترسل للقرية نسمات صيفية محملة برطوبة منعشة.

ذات يـوم حمـل قـصة روميـو وجولييـت الـشهيرة وغاص في جوف الغابة سالكا دروبها عن غير هدى إلـى أن بدأ يشعر أن ساقيه لم تعودا تقويان على حمله لذا ركن لأقـرب شـجرة مـسندا ظهـره إلـى جـذعها طالبـا الراحـة متصفحا ذاك الكتاب الشيق مسبلا جفنيه.

تعالت فوقه ضحكات عذبة تطلع حولـه فلم يـر شيئا تسلق الشجرة وجال بنظره في المكان وإذا به يـشاهد فتـاة تطـل مـن نافذتها،جميلـة كانـت لـم يـر مثـيلا لـها،عيناهـا غامقتان،بيضاء البشرة كـالثلج المخضب بـالفجر الـوردي وكانت السماء صافية بحيث بـدأت الـشمس ترسل أشـعتها الدافئة المنعشة طاردة الندى المتراكم على سيقان وأوراق النباتات الغضة.

تابع تسلقه وانتقل من شجرة إلى أخـرى حتـى وصـل إلى حافة شرفتها ودخلها خلسة،إذ فاجأها.شهقت وتجمدت مكانها.اقترب منها أكثر وأمسك رأسـها بكلتـي يديـه وقبل شـفتيها وغـادر بـنفس الطريقـة تاركـا إياهـا ذاهلـة تـتلمس بأناملها شفتيها اللتين انفرجتـا عن ابتـسامة رقيقـة عكست اهتـزاز شـغاف قلبهـا.تابعتـه بمقلتيهـا وهـو مطلـق سـاقيه للريح حتى ابتلعته الغابة.

مشت وجلست على حافة سريرها ملقية بنفسها عليـه مستـسلمة لجيـشان صـدرها ومطلقـة العنـان لمـشاعرها بالظهور.

تابع ركضه متجاوزا الغابة حتى وصل إلى حافة السهل الواسع كبحر أخضر تموج فيه ملايين الأزهار التي سمت بأعناقها متعالية على تلك السنابل الليلكية التي احتمى بين سيقانها الحجل البري الذي ترنم بأعذب الألحان منضما للفرقة الملائكية المؤلفة من آلاف العازفين والمغردين.

استلقى على العشب الطري مسندا رأسه بيديه المتشابكتين مراقبا كل ما يدور حوله.

فتح عينيه مستفيقا من غفوته التي لم يعرف كم دامت.تلفت حوله فوجد كل شيء بدأ يتغير مع قدوم المساء،إذ أخذت النباتات تتمسك بآخر انعكاسات أشعة الشمس الآفلة حيث أخذت العتمة تزحف ملتهمة الطبيعة قطعة تلو الأخرى،بينما أخذت كل سنبلة ونبتة وزهرة تشمخ برأسها وكأنها تأخذ نفسا عميقا بين جولتي غطس مطلقة عبيرها ليعم الكون بأسره.

بيد أن تلك الجوقة التي ملأت النهار بأنغامها بدأت تلملم نفسها مفسحة المجال لفرقة أخرى بدأت " تدوزن " حناجرها ، إذ سمع زعقة سنجاب من هنا ونقيق ضفدع من هناك وصوت جندب من مكان آخر.

وما إن انطفأ القنديل الكبير حتى أتمت العتمة التهامها للكون كله، مشعلة شموع القبة السماوية،راسمة لوحة فنية غاية في الروعة.

أعـاده لوعيـه مجموعـة حباحـب اصـطدمت بوجهـه أثناء محاولتها الطيران وهي تطلق صفيرها وصريرها معلنة عن وصولها واعتلائها مسرح الكون.

قام من جلسته هذه بعد أن نفض ثيابه وحمل الكتاب تحت إبطه إلى البيت منتشيا سعيدا.

## في العالم السفلي

دخل مكتبة عامة وجال بنظره على أقسامها التي اعتاد ارتيادها لانتقاء كتاب يغور في أعماقه سابرا مجاهله هادفا زيادة رصيد معلوماته في شتّى مجالات الفكر والثقافة.

لفت انتباهه كتاب كبير الحجم أصفر الصفحات موضوع على الرف بشكل مخالف للترتيب العام.

اقترب أكثر يشده الفضول ، سحب الكتاب وقرأ عنوانه الذي كان "كيف تحضر الجان". شغف بالموضوع فقرر استعارة هذا الكتاب ليستشف ما خزن فيه من أفكار غريبة بالنسبة له.

حمل الكتاب قاصدا منزله، دخل غرفته وأنار مصباح الطاولة التي اعتاد القراءة عليها ، استلقى على الأريكة المجاورة التي ثبت منذ زمن بعيد مكانها لتكون مريحة بالنسبة له وليستفيد من ضوء النهار المتسلل عبر النافذة المقابلة.

أسند رأسه إلى وسادة طرية بعد أن ضربها عدة ضربات مشكلا حفرة بحجم رأسه الذي اخذ مكانه وسطها ، وكل ذلك تم بعد أن أعد لنفسه كأسا من الشاي الكثيف.

قلب أولى الصفحات بعد أن قرأ ما كتب على جلدته الخارجية والتي حوت أسم الكتاب وأسم مؤلفه تابع تقليب الصفحات حتى وصل إلى المقدمة التي ضمت فيه محتواها،لتوجيهات لمن يريد أن يسلك هذا الدرب تحسبا

مـن الوقـوع فـي الخطـأ والخطـأ فـي هـذا المجـال مميـت حسب ما ذكر.

بدأ بالقراءة في هذا البـاب الـذي يرشـد المبتدئين إلـى أهم الأسس، ألا وهي كيف يتعلم تحضير واستدعاء الجان وإنهاء الاستدعاء أي " الصّرف " وكل ذلك عبر ترديد مصطلحات معينة منها ما هو خـاص للاستدعاء ومـا هو يختص بعملية الصّرف.

تزحلق قليلا بحيث بدا لمن ينظر إليـه انـه قد استسلم لنوم مريح ، ردد بينه وبين نفسه عبارات الاستدعاء أكثر من مرة حتى حفظها وكذلك ردد عبـارات الصرف حتـى حفظها أيضا.

هيّـأ نفسه وكـرر عبـارات الاستدعاء بـصوت عـال أكثر من مـرة وأثنـاء ذلك مد يده وأطفأ المصباح مكتفيا بضوء النهار المتسلل عبر النافذة.

كرر مصطلحات الاستدعاء التي حوت أسماء شديدة الغرابـة، وفـي كل مـرة يعيدها كـان يستسلم أكثر وأكثر لدرجة شعر أنـه أصبح بحالـة تشبه حالـة انعدام الوزن ، عم ظلام خفيف الغرفـة وهو يردد تلك العبـارات وعينـاه شبه مغمضتين.

أثارتـه حركـة قريبـة،فتح عينيـه وإذا بـه يـشاهد كائنـا غريب الهيئـة يقتـرب منـه.توقف وقدم لـه فروض الـولاء والطاعة واضعا نفسه تحت تصرفه.

حدق فيه ورفع يده ولمس وجهـه ليتأكد أنـه لـم يـزل حيا وبكامل وعيه ، استعاد رباطـة جأشـه متذكرا مـا كـان قد بدأ بـه.

طلب منه أن ينقله إلى عالمه ليتعرف ويسبر غموضه هذا العالم الذي يصف أهل الأرض من الإنس بالعالم السفلي ، أحنى رأسه بإشارة تدل على موافقته طالبا منه أن يغمض عينيه وألا يفتحهما حتى يطلب منه ذلك تنفيذا للتعليمات المتبعة هناك في الأرض الأم كما قال.

نفذ ما طلب منه وانطلقا وعند حدود ما وصف بالأرض الأم طلب منه مرافقه فتح عينيه وأن لا يقدم على أي تصرف يغضب أهل هذا العالم.

وقفا أمام بوابة عريضة يظللها شجر كثيف.تلفت خلفه ليجد أن هذه البوابة هي نهاية لطريق طويل يخترق غابة وارفة الظلال بدت أشجارها في بداية هذا الطريق غاية في الصغر نتيجة لطول هذا الطريق.

انتبه لنفسه ليجد أنه حمل بين يدي هذا الكائن كطفل صغير ، انزله مرافقه وتقدم نحو البوابة وتبادل مع البوابين عبارات غريبة فهم منها أنه يطلب الإذن بالدخول هو ومن معه.

انفرجت البوابة عن عالم يبهر الأعين يقود إليه درب طويل ، قال له مرافقه أن يسير معه وألا يبتعد عنه مهما كانت الأسباب ، لأنه إن حدث ذلك لم يعد بمقدوره مغادرة هذا العالم نهائيا لأنه الوحيد الذي يستطيع أن يعيده إلى عالمه كونه وحسب مفاهيم أهل الإنس هو الذي يحمل كلمة السر.

هز رأسه موافقا وسارا معا ، التفت نحو مرافقه مستفسرا أي الأمكنة يقصدان ، فهم عليه وقال مطمئنا:

ـ نحن نقصد الآن مقر الأم الحاضنة.
- ماذا قلت ومن تكون الأم الحاضنة تلك ...!؟
- هي اصغر المسؤولين في عالمنا سنا لم تتجاوز خمسمئة سنة حسب توقيتكم فهي في مقتبل العمر تملك من الثقافة ما يجعلها قادرة على التعامل مع كل الكائنات الحية وكل حسب لغته ولهجته المحكية وحتى من يتعاملون بالإشارات.
- لقد زدتني شوقا لرؤيتها والتعرف بها لأن معرفة كائن كهذه مكسب لا يفوت.
سارا مسافة ليست بالقصيرة حتى وصلا لمدخل تتقدمه درجات من المرمر الذي يبرق مثل لؤلؤ سلط عليه شعاع ليزري ، صعدا الدرج ووصلا البوابة التي بدت وكأنها قدّت من عاج طعّم بالفضة ، برز أمامهما كائنان ملامحهما غير واضحة تبادلا مع مرافقه بضع عبارات مع بعض الإشارات من يديه العلويتين وعندها انتبه إلى أن مرافقه وكل من قابلهم في هذا العالم لهم زوجان من الأيدي ولدى البعض أكثر من ذلك.دقق النظر بمرافقه فتبين له أنه في نهاية كل ذراع هناك كف يحوي إصبعين فقط.
ابتعد الحارسان وانفرجت البوابة ودخلا المبنى الذي حوى بهوا واسعا ناصع البياض تصدره باب كبير زخرفت حوافه بأبدع النقوش التي طعّمت بالذهب والفضة وزينت بفصوص الألماس والزمرد والياقوت مشهد تهتز له شغاف القلب.
تقدما نحوه وقبل بضع خطوات انفرج على مصراعيه مظهرا فتاة غاية في الجمال تامة الأنوثة تحتل

وسط أريكة فخمة كعروش الملوك جلست عند قدميها عدة فتيات أقل ما يقال فيهنّ أنهنّ نخبة من جميلات الكون بأسره.

استقبلتهما بابتسامة ساحرة ، رحبت بهما بأرق وأعذب العبارات.حملق بها مستغربا مقدرتها على التكلم بلهجته الخاصة ، استعاد تركيزه متذكرا ما كان قد قدم له مرافقه من وصف لسجايا هذه السيدة الجميلة ، شكرها على حسن الاستقبال وهذه الحفاوة.

- نحن نرحب بكل كائن في عالمنا طالما أنه يلتزم بأعرافنا وقوانيننا.وبنفس الوقت لا نسكت أو نسامح من يتجاوز أيّا من تلك المبادئ والقوانين.

- إني أحترم قوانين كل الكائنات كاحترامي لقوانين عالمي ومجتمعي.

- جيد ، نتمنى أن تكون زيارتك لعالمنا مفيدة لك ولنا. كلفت إحدى وصيفاتها بمرافقته.

تلفت حوله فلم يجد مرافقه الّذي اختفى عندها فهم أن مهمته قد انتهت عند هذا الحد.حافظ على هدوئه رغم دهشته لطريقة اختفائه.

سارا معا ، التفتت نحوه وقالت:

- الآن سنقوم بجولة على أجزاء عالمنا وسنبدأ أولا بما يسمى عندنا دنيا التعليم.

هز رأسه موافقا وكله شغف للاطلاع على ما يحويه هذا الجزء ، سارا مسافة شعر بالتعب انتبهت له وبحركة سريعة وجد نفسه بين يدي مرافقته العلويتين تحمله كطفل صغير وتسير بخفة وكأنها لا تحمل شيئا ،

وبعد مسير فترة قدرها بحوالي الساعة حسب التوقيت في عالمه وصلا بداية طريق واسع نظيف يتفرع من الطريق العام وكان كل شيء فيه يدل على النظافة والنظام ، في نهاية هذا الطريق تصدرت بوابة واسعة كثيرة الشبه بمداخل مؤسسات التعليم مع فارق أن هذه البوابة تبدو كأنها اقتطعت من عاج زيّن بأحجار كريمة.

أنزلته وتقدمت نحو الباب الّذي انفرج وظهر منه حارسان كثيرا الشبه بالحراس الآخرين مع فارق بسيط هو طريقة وهيئة اللباس لأنه وحسب ما فهم أن لكل جزء من هذا العالم زيّه الخاص . تبادلت بضع عبارات مع الحارسين الّلذين ابتعدا وهما يبديان الاحترام لها ولضيفها.

تابعا السير حتى وصلا إلى أمام بناء كبير يحرسه شيخ كبير بدا الوقار عليه ، وقف عندما رآهما يتقدمان نحوه وبإشارة من يده السفلى اليسرى انفتحت البوابة مظهرة ساحة كبيرة جدا تضم في جنباتها كل ما يحلم به التلاميذ من أجهزة ألعاب وغيرها من مساعدات التدريب.

كان هناك حشد من تلاميذ يافعين بلباس موحد يتراكضون.وقف جامدا محملقا بكل سعة عينيه انتبهت له مرافقته بعد أن تجاوزته ببضع خطوات وقفت وعادت مفسرة له.

إنهم أطفال عالمنا ممن لم تتجاوز أعمارهم الستين سنة.هنا يتلقون مبادئ التعليم الأولى وكذلك يتدربون على كل ما سيساعدهم ليصبحوا فعالين.

تقدما حتى توسطا تلك الجمهرة الّتي شكلت دائرة كبيرة حولهما وأخذوا يدورون بوتيرة أخذت تتسارع وتتسارع حتى شعر بدوار خفيف ازداد اطرادا مع سرعة دوران الحلقة حتى أغمي عليه.

استفاق وإذا به بين ذراعيها وسط حديقة وارفة الظلال ، جال ببصره في هذا المكان الخلاب.مسحت جبينه بيدها الغضة ولثمت فمه ورفعت رأسها قائلة:هيا بنا نتابع جولتنا ولكن أحذرك من التعاطي مع أي كان وكل استفسار سأجيبك عنه أنا.هز رأسه موافقا.

دخلا مبنى كبيرا بعض الشيء تجمع فيه عدد كبير من التلاميذ مشدودين بكل حواسهم متطلعين نحو كائن ضخم الجثة يرتدي ثيابا مميزة وهو يشرح لهم بكل جدية أمرا معينا متجاهلا من حضر مؤخرا ، التفت إلى مرافقته التي فهمت بدورها مأربه.اقتربت منه شارحة :

- هذا المكان مخصص لتعليم التخفي والتنكر وتقمص كل الهيئات والشخصيات لجميع كائنات العالم العلوي ، تدوم هذه المرحلة حسب توقيتكم مئة وخمسين عاما ومن بعدها ينتقلون إلى مرحلة أخرى.

بقيا فترة لا بأس بها حضرا بعض التطبيقات العملية لهذه المعارف وغادرا المكان بعد أن قدما التحية للموجودين ولسان حاله يقول عجبا.

أثناء سيرهما قاصدين الجزء الثاني سألته:

- ألم تشعر بالجوع لأنك لم تذق شيئا من زاد ولا ماء منذ أن وصلت عالمنا ؟

شعر بحركة في جوفه وكأنها نبهت لديه حاسة كانت غافلة ، هز رأسه موافقا وعندها اقتادته إلى ما يسمى عالم المأكل ، وصلا مكانا رائعا واسعا جدا لم ير مثيلا له في عالمه ، دخلا وجلسا على مقعد وثير ناعم الملمس أكثر طراوة من الإسفنج ، أحس براحة مذهلة لمجرد أن جلس عليه.

تقدمت منهما فتاتان فائقتا الجمال ترتديان حلة هذا الجزء والذي يشبه لحد ما ثياب النادّل الناصع البياض.قدمتا لهما طبقين مع ملعقتين مصنوعتين من معدن نادر كثير الشبه بالألماس ولكن غير شفاف.

رفعت مرافقته الطبق وأمسكت بالملعقة وهو يراقبها ويدقق النظر في طبقها الفارغ الذي امتلأ بما لذ وطاب بغمضة عين وباشرت بالأكل ، قلدها وتكرر معه نفس الشيء. بعد أن انتهيا من تناول وجبتيهما تركا الأطباق على المقعد وغادرا.

وبعد أن سارا بضع خطوات توقف والتفت نحو المقعد الذي رآه فارغا لقد اختفت الأطباق لمس بيده معدته فتأكد بأنها ملأى وأن كل ما مر معه منذ قليل كان حقيقة ،تابعا التقدم فالتفتت إليه قائلة :

- الآن سنزور الجزء المخصص للمرحلة الثانية حيث يتجهز التلاميذ ويتحضرون للبدء بالعمل ، وهنا ستشاهد كل ما يجول بخاطرك وستتعرف على كل أساليبنا المتبعة من قبلنا في حياتكم وضمن عالمكم .

وعند وصولهما إلى أمام مبنى ضخم جدا بعد أن عبرا غابة تحوي كل أصناف النباتات .

من البوابة برز حارسان كبيرا السن وكانا أكثر اتزانا يرتديان ثيابا مختلفة عن ثياب نظرائهما.

ولجا البوابة بعد الإجراءات المعتادة إلى أن أصبحا وسط العديد من الأبنية التي يحرسها كائنان ذكر وأنثى ، قصدا أول المباني حيث تقدمت نحوهما الأنثى بينما بقي الذكر جالسا.

رحبت بهما وكلمته بلهجته الخاصة،الأمر الذي أدخل السكينة إلى نفسه ، اقتادتهما نحو المبنى شارحة لهما أقسامه وأدخلتهما أول قسم منه قائلة:

"هذا المكان مخصص للكائنات العائدة من عالمكم"

دخلا معا وشاهدا قاعة فارغة واسعة وما هي ألا لحظات حتى أخذت تمتلئ بكائنات أزيائهم مختلفة.كل زيّ يدل على مهمة صاحبه التي خلص منها ، وما أن تستقر أقدامهم على أرض المكان حتى تعود هيئاتهم لطبيعتها أسوة بإخوتهم في هذا العالم إذ تختفي كل الأزياء وتضيع المعالم ويسود الهدوء ويصطف الجميع على شكل أنساق حسب المهمات التي كانت موكلة لهم. حيث يتوسط صدر المكان شيخ كبير بشرته زرقاء ، سيماؤه تدل على الحكمة والذكاء.

تتقدم الأنساق وكل يدلي بتقريره ويقدم غنائمه وينصرف إلى ركن فارغ حيث يجتمع كل من أنهى واجبه وتتشكل الحلقات من كل الأنساق وكل يروي مغامرته إذ يعم السرور الجميع وكذلك الفائدة ، وبعد انتهاء كبير المكان من الاستماع لهم يقوم بتوجيه ملاحظاته، وبذات الوقت تبدو عليه علائم الرضى لنجاح

تلامذته بالمهمات كلها وكذلك يغمره سرور عارم لرؤيته هذا الكم الهائل من الغنائم.

التفت نحو مرافقته مستفسرا، فقالت له:

- سنزور قسم الغنائم بعد قليل.

تقدما نحو الكبير وقدما له فروض الاحترام والتبجيل وبعدها غادرا المكان ، اتجها نحو قسم الغنائم حسب مصطلحاتهم وبالفعل كان اسماً على مسمى حيث من النظرة الأولى إلى المبنى يبدو على أنه يحوي كل نفيس وغال إذ جدرانه وبوابته كانت مزينة بأغلى المعادن وأثمن الجواهر.

دخلا البوابة بعد المراسم المعتادة وكانت دهشته الكبرى بما رآه ، كان كل شيء يلمع ويبرق وكأن آلاف الأضواء قد سلطت عليه ، تجولا في المكان برفقة إحدى الكائنات المخصصة لهذا العمل والتي قامت بدورها شارحة لهم كيف تفرز وتنسق وتخزن هذه الموجودات وكل حسب قيمته. تابعت حديثها قائلة :

- هنا تسلم كل الغنائم المجلوبة من العالم العلوي حيث يقوم قسم الخزينة بتنظيمها لتسخيرها لصالح أهلنا كل حسب جهده وعمله بحيث يعم الرخاء والهناء الجميع.

- أهنئكم على تنظيمكم هذا وأتمنى أن يسود هذا النظام عالمنا.

-الآن سنقصد كبير هذا المكان لنسلم عليه ونشكره قبل أن نغادر.

وبالفعل توجهوا جميعهم نحو باب يتصدر المكان دخلاه ليجدا كذلك شيخا كبيرا وقورا أزرق البشرة رحب بهما ببشاشة وتمنى أن يكون قسمه قد نال إعجابهما.

أثنيا على هذا التنظيم الرائع وشكراه واستأذنا بالانصراف وغادرا وكانت الدهشة مسيطرة عليه

- أين سنذهب الآن؟

- سنذهب إلى الجزء المخصص للمغادرين

مشيا في طريق تحفه شجيرات عطرية فاح شذاها في المكان ، فوصلا لأمام مبنى ضخم جدا أكبر من كل المباني التي شاهداها سابقا ، دخلاه فوجداه يضم عدة قاعات تطل بأبوابها المزخرفة بأبدع التصاميم على بهو رحب.

فتحت أول باب فبدا لهما كائنات مختلطة يتجهزون بأزياء وعدد أبناء وبنات الليل من قوادين وعوالم وغيرهم .

- هذا القسم يعد العناصر للإيقاع بضعاف النفوس من عالمكم وهؤلاء يتعرضون للخطر أكثر من جميع كائنات الأقسام الأخرى إذ يصادفون بشرا من عالمكم أكثر دهاء وحنكة منّا فيوقعون ببعض من إخوتنا ويسيطرون عليهم ويمنعونهم من العودة وبذلك نقع في أزمة كبيرة إذ أن الخسارة تعويضها يكون صعبا جدا.

- وهل يستطيع البشر فعل ذلك؟

- كيف لا وفي عالمكم بشر يمتلكون من الخبث والمكر ما يمكنهم من الإيقاع بالضعفاء من عالمنا إذ نحن لدينا كائنات يتسمون بضعف الإرادة والولاء لذلك نحن نقوم بإحصاء عام لتلافي النقص وتعويضه.

فتحت بابا آخر أسفر عن كائنات تتجهز بألبسة رجال الدين من قساوسة وكهنة وشيوخ وحاخامات

وغيرهم من رجال الدين الذين يدينون بديانات غير سماوية.

- وهل تفقدون من هؤلاء.

- نعم لأنهم يلتقون في عالمكم برجال دين فائقي الذكاء إيمانهم راسخ ويقينهم كبير وثقة كبيرة بالنفس يصعب على الضعاف من عالمنا مقاومتهم مما يؤدي إلى انحراف بعض من عناصرنا وضمهم إلى عالمكم وبذات الوقت نحن نسيطر على عدد كبير من البشر وبسهولة نوقعهم في حبائلنا ونحرفهم ونسلبهم كل شيء حتى إيمانهم.

- وهل لكم باع في هذا المجال؟

- نعم أين يوجد ضعاف نفوس يكون ملعبنا السهل حيث الاستعداد للانجرار خلف الغرائز والأطماع الشخصية يكون ميسرا من قبلنا.

- وهل يوجد خسائر من عناصر هذا القسم؟

- كلا بل نكسب أتباعا من عالمكم نسخرهم لتنفيذ وتسهيل خططنا والمقابل بعض مما رأيته في قسم الغنائم.

قادته نحو باب آخر وفتحته حيث شاهد كائنات يتهيئون بألبسة وأزياء التجار المختلفة كتجار الفواكه والخضراوات والحبوب والمحاصيل الزراعية وتجار الآليات بأنواعها وكذلك الصاغة ومن يعمل بينهم وبين البشر الآخرين من الوسطاء والسماسرة.

- مؤكد أن يدكم هي الطولى في هذا المجال.

- نعم صحيح مجالنا هنا واسع حيث الطمع والجشع الذي فطر عليه القسم الأكبر من تجاركم ووسطائهم يجعلهم فريسة سهلة لنا بحيث ينقادون خلفنا بسهولة ويسر.

- وما المكسب بالنسبة لكم؟

- ما رأيته في قسم الخزينة والغنائم.

فتحت بابا آخر فرأى خلفه كائنات تجهز نفسها بعدد وأزياء المهربين بجميع مجالات التهريب حيث هذه المجموعة تعمل في مجال الأسلحة حتى الفتاكة منها وهؤلاء في مجال المخدرات بكافة أنواعها وتلك متخصصة في مجال المواد النفطية وغيرهم للعمل في مجال المعادن الثمينة وأخطر هؤلاء تلك المجموعة التي تخصصت في تزييف وتزوير وتهريب العملات إذ يكون الخطر كبيرا على المجتمع.

- أكرر نفس السؤال ما مصلحتكم من كل ذلك؟

- كل ما يضعف روابط وأواصر وعناصر القوة والمنعة في مجتمعكم هو في مصلحتنا .

- وكيف تعملون؟

- نلقن هؤلاء أساليب جديدة تفيدهم في مجال عملهم وننجح في معظم الأحيان.

طلب من مرافقته أن يأخذ قسطا من الراحة خارج هذا القسم لأن ما رآه حتى الآن أدخل الهم والغم إلى نفسه وكان الألم يعتصر فؤاده .

عارضت قائلة :

- " هناك قسم يهمك أن تراه وبعدها لك ما تشاء. "

فتحت بابا آخر ودخلاه وإذا به يقابل كائنات تتجهز بلباس اللصوص والمختلسين والمرتشين والوسطاء بين كل تلك الفئات ، قسم منهم ارتدى ثياب موظفين عاديين كثياب من في شاكلتهم في العالم العلوي ، ومنهم من هم أعلى مرتبة ودرجة وظيفية ، وهؤلاء يرتدون ملابس وأزياء اللصوص عامة مثل لصوص المنازل والمتاجر والمصارف وغيرها ومنهم من ظهر بمظهر الوسيط بين هؤلاء والمتعاملين الذين يكثر عددهم في مجتمعات العالم العلوي.

- مؤكد أنكم تبدعون في هذا المجال؟

- أصبت لأننا في هذا المجال نتمتع بالحرية التامة كون الذين نستطيع الإيقاع بهم واصطيادهم كثراً جداً وخصوصا في المجتمعات المتخلفة التي يسهل فيها التلاعب بالقوانين والتشريعات وبذلك نضمن المكسب الكبير من الغنائم.

تشكلت لديه لوحة شبه كاملة عن كل مدارس الفساد وغيرها من مسببات التأخر والانحطاط الذي تعاني منه غالبية بلدان العالم لوجود أشخاص من الأوساط الحاكمة والمسيطرة يقعون بسهولة في براثن هذه الكائنات نتيجة ضعف شخصيتهم وقلة إيمانهم وكذلك وهن روابطهم بأوطانهم ومجتمعاتهم وحتى مع تعاليم أديانهم.

- الآن تستطيع أن تستمتع باستراحة قصيرة تعيد لنفسك الهدوء ريثما أعود لك وتركته بعد أن أوصلته إلى مكان يشبه المقهى العام إذ تناول كل ما اشتهاه دون أن يطلب شيئا.

جلس برهة مع نفسه محاولا أن يعيد الهدوء والسكينة لها ، وبعد وقت قصير عادت مشرقة الوجه،بدت وكأنها تحمل له بشرى سارة وجلست قبالته ونظرت إليه باسمة ، تطلع إليها مستفسرا عن سبب حبورها. قالت له:

- لقد حصلت الآن على موافقة بالسماح لك بزيارة مقر المجلس العام ولكن هنا أريد أن ألفت انتباهك بأننا سنمر من أمام القاعة الكبرى ونشاهد انعقاد المجلس العام من وراء حاجز شفاف لأن دخولنا مستحيل كون كل ما يحدث ويقرر ويبتّ في هذا المجلس سريا جدا حتى علينا نحن أبناء هذا العالم الشيء الوحيد الذي أستطيع فعله لك هو أن أعرفك على طبيعة عمل المجتمعين ممن لم تتعرف عليهم واقتادته باتجاه آخر حيث يقع مبنى المجلس العام.

وبعد أن وصلا دخلا مبنى كبيرا تدل فخامته على سمو ورفعة قاطنيه وبعد تجاوز عدة أبواب وقاعات تزخر بمضيفين ومضيفات بملابس فخمة أصبحا مقابل قاعة ضخمة جدرانها شفافة تظهر ما خلفها بوضوح تام.

انبهر لمرأى هذا الحشد من هؤلاء الشيوخ ذوي البشرة الزرقاء، بعضهم كان قد تعرف عليهم سابقا ومعظم الباقين كانوا جددا بالنسبة له ، تابعا سيرهما وهو يراقب وجوه الشيوخ الجدد باهتمام وكله رغبة بأن يعرف مهام كل منهم ، وبعد انتهاء جولتهم وأثناء سيرهم استدارت نحوه شارحة له مهمة كل شيخ ومسؤولياته.

تسلل الهم والكرب إلى نفسه إذ أحس أثناء جولته هذه بأن كلّ تلك الاجتماعات والتحضيرات جميعها الهدف منها حبك وصياغة وتحضير المؤامرات والشراك لإيقاع الضرر والأذى في عالمه ، لاحظت الهم الذي اعتراه فأغاظها الأمر أشد الغيظ لكنها كظمته بداخلها تنفيذا لتعليمات المعلمة الأم ، حيث حافظت على هدوئها وتابعا سيرهما حتى أصبحا وسط طريق خارج الأبنية إذ اختفت مستغلة شرودا أصابه ، وما إن استرد انتباهه حتى وجد نفسه يسير وحيدا ، تلفت حوله فلم يجدها ناداها ولكن عبثا ، جال بنظره في المحيط القريب فلم يعثر عليها.عندها تذكر التعليمات إذ توجب عليه استدعاء المرافق الأول ، كرر بينه وبين نفسه المصطلحات التي تعلمها وما إن تأكد من حفظه لها حتى رددها بصوت واضح وعال عدة مرات.فجأة ظهر المرافق أمامه واضعا نفسه تحت تصرفه.

طلب منه وبكل الضيق الذي يعانيه أن يعيده إلى عالمه ، أبدى موافقته وطلب منه أن يغمض عينيه ويسلمه قيادة نفسه.

أغمض عينيه برهة وفتحها ليجد أن المرافق لا يزال وقفا أمامه في الغرفة.

- لم أنت هنا حتى الآن؟

- عليك أن تصرفني كما استدعيتني.

- وكيف أصرفك؟

- يتوجب عليك النطق بعبارات إنهاء الاستدعاء أي الصرف.

عصر ذهنه ولكن دون جدوى وهنا هاج المرافق وثار وهجم مطبقا عليه بأذرعه ورفعه إلى الأعلى ورماه على الأرض بقوة وعندها استفاق من غفوته ليجد نفسه لم يزل مستلقيا على أريكته والكتاب مفتوح وملقى على صدره والغرفة يعمها الظلام مد يده وأدار مفتاح المصباح،تمطى وجال بنظره في أرجاء الغرفة فوقع نظره على ساعة الحائط ليعرف أنه قد نام بضع ساعات.

## في رحاب الفضاء

دخلت عليه أمه و وجدته في حالة يرثى لها إذ كان مغرقا بذهول قلقاً يشغله أمر خفي. سألته:

- ما بك؟

-لا شيء بتاتا لقد غفوت قليلا ورأيت حلما مزعجا بعض الشيء

- خير إن شاء الله كلها رد هواجس لما نتعرض له خلال النهار. طلبت منه أن يمارس طقسا دينيا وأن يستلقي قليلا وذهبت لتعد له قدحا من الشاي

راقبها وهي تغادر متثاقلة تجر قدميها بخطا وئيدة وكأنها تجر معها كلّ الشقاء وهموم السنين الخمسين التي نزفت من عمرها دون أن يتسنى لها الركون ولو لبرهة قصيرة تشعر خلالها براحة وطمأنينة على حاضرها ومستقبلها ، ابتسم وهزّ رأسه شغفا بهذه الكادحة الدءوب متمنيا بقرارة نفسه أن يسعفه القدر ويتمكّن من رد ولو جزء بسيط من أفضالها عليه هي التي تنتظر بفارغ الصبر اللحظة التي تتمكن فيها من الاعتماد عليه كسند ضامن لآخر أيامها.

لقد ربّته كما يقال بدموع عيونها وسهرت الليالي على راحته كيف لا وهو وحيدها الذي خرجت به إلى هذه الدنيا إذ كان ثمرة زواج دام عشر سنوات ذاقت خلالها طعم الراحة إذ اطمأنت وركنت لزوج هادئ عاقل متفهم حقق لها كلّ متطلباتها ورغباتها قدر استطاعته ولكنّ للقدر ضرباته الغادرة إذ اختطف الموت عائلها إثر

حادث أليم حيث سقط من فوق سقالة نتيجة خطأ من أحد زملائه الجهلة الذين كان يعمل معهم ضمن ورشة كبيرة لصب " البيتون ".وكان حاله كحال الغالبية العظمى من أمثاله المياومين إذ لا تأمين ولا ضمان من أي نوع كان لحياته.

استفاقت من صدمتها على حقيقة أنها أصبحت وحيدة في هذه الحياة وفي عهدتها طفل لم يتجاوز الخامسة من عمره ويحتاج للكثير حتى يكبر ، ساعدها أهلها وأهل زوجها والمقربون الذين كانت حالتهم أفضل من حالتها قدر استطاعتهم ، لم تعتمد على تلك المعونات بل ألقت بنفسها في أتون العمل حيث تنقّلت خلال فترة بسيطة بين عدة أعمال إذ عملت في ورشات الخياطة و النسيج وكذلك في جني المحاصيل الزراعية حتى ابتسم لها الحظ وألقى في دربها رب عمل طيب ورع أمّن لها عملا دائما كمستخدمة في إحدى مدارس المنطقة .

الأمر الّذي حقق لها بعض الاستقرار نتيجة دخل ثابت ودائم لبّى معظم متطلباتها وحاجات ولدها الذي أخذ يترعرع،وأصبح من تلاميذ المدارس وبذلك زادت أعباؤها لذا اضطرّت أن تعمل لوقت إضافي في إحدى الورشات.

انتبه المدرسون لنبوغ وذكاء طفلها واهتمامه وحبه للمعرفة مثل ما كان قد نوّه لها أهلها عن ذلك ولسجاياها الطيبة ساعدها الجميع وقدّموا لولدها كل المعونة ووفّروا له كل احتياجاته من المراجع وغيرها.

توالت السنون و أصبح ولدها في المرحلة الثانوية،مما اضطرها وبناء على نصيحة المدرّسين أن تنقل عملها إلى العاصمة حيث فرص التعليم أكبر وأفضل

استلمت عملها الجديد واستقر بها المطاف في بيت متواضع في إحدى الحارات الشعبية وكذلك التحقت بعمل في إحدى الورشات الصناعية المنتشرة بكثرة هناك محققة دخلا إضافيا يبعد عنها الحاجة والعوز .

نظمت وقتها وقسمت أعمال البيت بينها وبين ابنها أولا لضيق الوقت وثانيا لتعلمه كيف يعتمد على نفسه إضافة لدراسته ، وكانت تسعى حوله ملبية طلباته رغم إرهاقها نتيجة عمل يوم كامل.

استيقظ صباحا وتناول فطوره المعد مسبقا من قبل أمه قبل مغادرتها ، رتب كل شيء وتجهز وغادر قاصدا كليته التي أحب وهي كلية الفلسفة.

دخل مبنى الكلية حيث تصادف وجود بعض من زملائه ، إذ دار بينهم هرج ومرج وهم يقصدون قاعة المحاضرات التي دخلوها وجلسوا متقاربين.

وبعد انتهاء محاضراتهم ذهبوا جميعا باتجاه مكتبة الكلية لاستعارة بعض المراجع الضرورية لاستكمال حلقات بحثهم.

أثناء تقليبه الكتب والمجلدات وقع بيده كتاب عن علم الفلك ، قلب صفحاته إذ شدته المواضيع المثارة فيه لذلك قرر استعارته أيضا.

وصل بيته حوالي الساعة الثانية عشرة أي قبل موعد وصول أمه بحوالي الساعتين ، استبدل ثيابه وبدأ يعد طعام الغداء من مواد أحضرها معه وبعد أن حضرت والدته تناولا طعامهم ثم غادرت الأم لتلتحق بعملها الإضافي بعد أن استلقت فترة وجيزة.

قصد غرفته مختليا بنفسه ليستخلص بعض الفقرات من المراجع التي أحضرها معه وبعد أن استكمل موضوعات حلقة بحثه رتب تلك المراجع ووضعها جانبا . تناول كتاب الفلك ثم قام واستلقى على سريره وبدأ يتصفح ورقاته ورقة تلو الأخرى حتى وصل لموضوع يتحدث عن رحلة خيالية قام بها شخص مغامر إلى الفضاء ليسبر أعماقه ويستكشف خفاياه .

سرّه الموضوع كثيرا وشده بقوة و كلما تعمق أكثر زاد شغفه، حتى سيطرت هذه الفكرة على كل كيانه وتغلغل في ثنايا نفسه. ارتخت أعصابه مستسلما شيئا فشيئا لهذه الفكرة والرغبة ليجد نفسه فجأة ضمن قمرة إسفنجية لمركبة فضائية كالتي كثيرا ما شاهدها على شاشات التلفزة ، كانت مريحة جدا إذ يستطيع أن يتكئ عليها كيفما يشاء وكذلك شعر وهو يرتدي بزة رواد الفضاء والقناع الرأسي بكل الخراطيم المعلقة بها والمخصصة كي تؤمن له كل وسائل السلامة والأمان وخصوصا أثناء طيرانه في ظروف تنعدم فيها الجاذبية تحديدا في الفراغات الكونية بين الأجرام السماوية.

استرجع ذاكرته فلم يعرف كيف ومن أين تم إطلاقه وعبر أي الوسائل نقل إلى هذا الفضاء الكوني الساحر،حيث شاهد عبر نوافذ قمرته هذا الشفق البديع الزاخر بألوان الطيف والسحب الكونية وكذلك تلك الكتل من الصخور السابحة والكويكبات البعيدة التي تبدو له كنقط رمادية على صفحة فضية ، اجتاز مسافة كبيرة لم يحس بها لانشغاله بمراقبة تلك الأجرام.

انتبه ليجد نفسه قريبا جدا من مدار كوكب برتقالي اللون.نبهه صوت عبر سماعة خوذته إلى انه أصبح تقريبا في مدار الكوكب الشهير محذرا إياه لاتخاذ جميع أسباب الحيطة والحذر أثناء هبوطه وتسجيل كل مشاهداته وجلب عينات من تربة وصخور هذا الكوكب لدراستها .

اقترب أكثر حتى دخل مدار هذا الكوكب وبذلك أصبحت مشاهدته لتضاريس وظواهر الكوكب أوضح إذ بدت الأخاديد والتعرجات والفوهات البركانية جلية.

دار عدة دورات حول الكوكب بغية تحديد مكان هبوطه الذي حدد من القاعدة الأرضية التي كررت الطلب بأن يقدم تقريرا شفويا بالإضافة لما تنقله آلات التصوير عن ذلك.

عين مكان هبوطه الذي تم بسلاسة وهدوء وبعد أن استقرت المركبة مثبتة قوائمها على أرض الكوكب وبعد أن هدأت فتح البوابة ،

نزل عن طريق سلم بعد أن تجهز بالمعدات اللازمة وما أن لامست قدماه أرض هذا الكوكب حتى أحس برعشة كمن يلامس جليدا في جو حار.تنقل وكانت حركاته قفزا كرياضي يتدرب على سرير النوابض.

دار حول المركبة مستخدما حبلا قيده بها . وسع دائرته مستكشفا وهو يقدم تقريرا شفويا إلى قاعدته ، وعندما اطمأن فك الحبل محررا نفسه لتكون جولته أوسع ولكن لا جديد إذ لا شيء يدل على وجود أثر للحياة ، كانت هناك صخور شفافة تحوي بداخلها كائنات غريبة.ربما كانت هذه الكائنات تعيش على ظهر هذا الكوكب منذ قديم الأزل.

حاول كسر هذه الصخور بواسطة مطرقة كانت من ضمن معدات أحضرها معه ولكن عبثا إذ كانت من القسوة والصلابة بحيث ارتدت المطرقة وكادت أن تصيب خوذته ، حمل بعضا من هذه الصخور وعاد إلى مركبته منهيا تقريره الذي يؤكد عدم وجود أية حياة على هذا الكوكب طالبا الإذن بالمغادرة نحو كوكب آخر عسى أن تكون المحاولة ناجحة.

تجهز وانطلق مغادرا مدار هذا الكوكب ليجد نفسه في جوف الفضاء الكوني الباهر ، استرخى وهو يراقب كل محتويات هذا الكون الفسيح.

استغرقت رحلته هذه فترة زمنية أطول مقارنة بالزمن الذي استغرقته سابقتها.

نبهه صوت قادم من القاعدة إلى أنه أصبح قريبا من مدار كوكب آخر أصفر ككرة شاحبة اللون ، وما هي إلا فترة قصيرة حتى دخل مدار هذا الكوكب مكررا مراحل هبوطه حيث جال على سطحه مدققا متفحصا ليجد أن طبيعة هذا الكوكب شبيهة جدا بالكوكب البرتقالي إذ لا أثر لأية حياة هناك حمل معه بعضا من صخوره وعينات من تربته وغادر .

كرر المحاولة في أكثر من كوكب وكانت النتيجة واحدة إذ لا أثر لأية حياة على سطح هذه الكواكب.

غاص في أعماق الفضاء فترة طويلة ليجد نفسه يقترب شيئا فشيئا من كوكب غريب الشكل لا يشبه أيا من الكواكب التي مر بها بحيث بدت معالمه وتضاريسه قاتمة بعض الشيء وكذلك بدا حجمه أكبر بعدة مرات من حجوم الكواكب الأخرى .

دخل مداره واخذ يقترب أكثر إذ شاهد كل ما يسر الناظر حيث أن كل شيء يراه يبشر بوجود الحياة مثل تلك المسطحات الرمادية والأقرب إلى الفضية وكذلك الأخاديد الواسعة التي تشبه مجاري الأنهار على أرضنا.اجتاحته رعشة سعادة لأمله بمشاهدة كائنات حية على هذا الكوكب وكان جل أحلامه أن يلتقي بكائنات عاقلة يسهل التعامل معها.

وهو في معمعة هذه الهواجس انتبه ليجد نفسه محاصرا بعدة مراكب فضائية غريبة الشكل. أخذت تلك المراكب تضيق عليه الحصار شيئا فشيئا حتى أصبح وهو في قمرته يمكنه رؤية رواد تلك المركبات ويميز بعضا من تفاصيل هيئاتهم إذ بدت رؤوسهم كبيرة جدا مقارنة برأسه ولون بشرتهم يميل للخضرة ، داروا حوله عدة دورات وقاموا بحركات أدرك من خلالها أن عليه الانصياع لهم وبالفعل ترك أجهزة القيادة لتنساق المركبة معهم وكأنها قطعة معدن وضعت في مجال مغناطيسي هائل القدرة اقتادته مجموعة المركبات إلى مكان مجهول خمن أن يكون هذا المكان هو قاعدتهم وبالفعل عند اقترابهم بدت له تلك القاعدة كبيرة جدا.

حطت مركبته وكذلك المركبات المرافقة التي اتخذت وضعية الحصار على أرض القاعدة وهبط روادها الذين بدت ملامحهم أوضح حيث رؤوسهم كبيرة وأجسامهم صغيرة الحجم وعيونهم واسعة جدا لامعة وصافية ، أذرعهم قصيرة وسيقانهم طويلة أنوفهم بدت دقيقة أما أفواههم فكانت كبيرة وواسعة الفتحة وكأنها شقت بسكين من الأذن إلى الأذن الأخرى أما أسنانهم فبدت عندما يفتحون أفواههم صغيرة جدا ودقيقة كأسنان منشار خشب ، تقدم منه أحدهم وأشار بيده متفوها بكلام غريب فهم منه أن عليه أن ينزل من المركبة.

فتح بوابة المركبة وأنزل السلم آليا وبدأ بالنزول وما أن حط قدميه على الأرض حتى تقدم منه مجموعة نزعوا عنه قناع الرأس ورداءه ومن ثم ألبسوه ثيابا أخرى خاصة بدون جهاز تنفس.

أخذ نفسا عميقا ملء رئتيه سرى الانتعاش في كل أنحاء جسده معيدا النشاط لخلاياه المنهكة نتيجة هذه الرحلة الطويلة ، حرر نفسه منهم وقام بانحناءة معبرا عن احترامه لهم ونيته السليمة تجاههم الأمر الذي أجفل الموجودين وأدى لابتعادهم بضع خطوات متخذين وضعية الدفاع لكنه وليكسب ثقتهم كرر حركته عدة مرات ليتيقنوا أنه لا يضمر شرا.

تقدم منه أحدهم وهو نفسه الذي أعطاه الأمر بالنزول من المركبة.عرف أنه قائدهم وأشار إليه بإشارات يفهم منها أن عليه أن يرافقهم .

امتثل وسار معه بينما سار البقية على جانبيهما حتى وصلوا جميعا إلى مبنى ضخم جدا يشبه إلى حد كبير مباني القواعد الفضائية وكان مشادا من معدن فضي اللون وكل شيء فيه متحكم به آليا حسب ما بدأ إذ تفتح الأبواب تلقائيا تنفيذا لأوامر عقول إلكترونية متطورة جدا ، وعند دخولهم هذا المبنى لم يشاهد أيا من تلك الكائنات إذ لا يوجد سوى عدسات تتحرك تلقائيا متتبعة إياه ناقلة تحركاته إلى شاشات خمّن أنها لحواسب المراقبة ، تابعوا السير حتى وصلوا لأمام قاعة دائرية ودخلوها ،

جال بنظره في أنحائها ليجدها مزنرة بمقاعد معدنية لمّاعة سقفها يشبه القبة لكنها من زجاج اجتازوها ليقفوا أمام بوابة كبيرة انفرجت بدورها عن قاعة أصغر حجما ولكن مؤثثة بشكل أفخم. أوصلوه إلى وسطها وتركوه عائدين حيث أغلقت الأبواب خلفهم.

ساوره الشك لكنه لم يشعر بأي خوف لأنه كان على يقين بأنهم لم يقدموا على أذيته ، وبعد وقت قصير فتح باب جانبي ودخل منه ثلاثة أشخاص يرتدون ملابس مغايرة لملابس مرافقيه وكانت تلك الثياب تغطي كل أجسامهم وعلى وجوههم وضعوا كمامات غطت أنوفهم وأفواههم.

اقتربوا منه مشيرين له أن يجلس على مقعد ظهر من أرضية القاعة.التفت إليه ليجده ذا مسند عال وما إن جلس عليه حتى تمدد المسند تحت ثقله وبدا لمن ينظر إليه أنه قرر أن يأخذ قسطا من الراحة في شرفة بيته في ظهيرة يوم حار.

انبثق من قاعدة المقعد عدة اذرع طرية تشبه المطاط طوقت جسده بشكل جيد ، وبعدها نزل به المقعد حتى وصل إلى قاعة واسعة كثيرة الشبه بالمخابر المتطورة.

لحقه الأشخاص الثلاثة عبر مصعد خاص وبدؤوا بإجراء الفحوصات وأخذ العينات وبعدها غادروا وحضر بعدهم مجموعة أخرى وضعوه ضمن جهاز بعد أن ركبت عدة مجسات على أنحاء معينة من جسده وكان معظمها متمركزا على رأسه وشغلت الأجهزة وأخذت الإشارات ترسم على أجهزة عدة وترسل بدورها إلى

مراكز أخرى لدراستها ، وبعد هذه الاختبارات أعيد إلى القاعة الأولى حيث كان مرافقوه بانتظاره،وبدورهم اقتادوه إلى قاعة ضمت الكثير من الأشخاص الذين يجلسون خلف شاشات تسجل كل إشارة أو حركة أو حرف ينطق به ليصار إلى ترجمته لإيجاد صيغة للتفاهم معه بغية الحصول على كل معلومة لديه قد تفيدهم لاحقا.

استمرت هذه الإجراءات فترة طويلة حتى تمكنوا بقدراتهم الفائقة وأجهزتهم المتطورة من حل كل رموز كلامه وحركاته حيث أصبح التفاهم معه سهلا وميسرا جدا .

أثناء ذلك قامت مجموعة متخصصة بتفتيش المركبة وفحصها وإحضار كل ما كان قد جلبه معه من الأرض ومن الكواكب التي زارها قبل أن يصل إلى هذا الكوكب العجيب بحيث أرسلت لدراستها في مختبراتهم التي تأكد بأنها متطورة جدا ليصار إلى مطابقتها بمكوناتها مع عناصر مما يجود به كوكبهم.

تم كل ذلك وهو مستسلم بشكل كامل وبنفس الوقت كان يحس براحة جمة إذ باستسلامه هذا سهّل على كل هذه المخلوقات عملهم ومكنهم من التوصل في نهاية الأمر لصيغة تفاهم يستطيع من خلالها تبادل كل ما لديه وما عندهم من معلومات قد تغير العالم على الأرض بأسره.

وبعد كل ذلك انتهى به المطاف إلى قاعة جديدة بحيث أجلس على مقعد ضمن غرفة زجاجية ووضعت على أذنيه وفمه ما يشبه السماعات والمرسل ليتم ترجمة كل من اللغتين للطرفين.

وبالفعل جلس قبالته شخص بدا عليه الوقار، ومن ملامحه أدرك أنه خبير له مكانته عندهم.

بدأت جلسة تشبه جلسات الاستجواب الحضارية والنادرة المتّبعة على الأرض.

كان جل اهتمامهم ومحور أسئلتهم يتمحور حول أمور تهمهم بالدرجة الأولى حيث تركزت الأسئلة حول ما توصلت إليه الطاقات البشرية من علوم في المجموعة الشمسية.

هنا انتبه إلى أمر فاته وسها عنه إذ وحسب معلوماته المؤكدة أنه لا توجد أي حياة على سطح أي كوكب من كواكب المجموعة الشمسية التي تنتمي لها الأرض وهنا تأكد من أنه تجاوز المجموعة الشمسية وهو الآن على سطح كوكب تابع لمجموعة نجم آخر غريب لا يعرف عنه شي.

قال لمحاوره :

- أنا الآن في نطاق أي مجموعة كونية ضمن مجرتنا؟

- أنت ضمن نطاق مجموعة النجم الباهر و القريب جدا من المجموعة الشمسية إذ لا يبعد عنها سوى بضع سنوات ضوئية.

- كم كوكبا تضم هذه المجموعة؟

- تسعة وأربعين كوكباً وكل فترة يتشكل كوكب آخر يكون له الصدارة في كل شيء كمولود جديد تفرح بقدومه عائلته ، أليس هذا ما يحدث عندكم؟

- نعم هذا ما يحدث وهل هناك كواكب مأهولة غير كوكبكم.
- نعم يوجد الكثير منها ولنا معهم علاقات وطيدة إذ نتبادل كل جديد فيما بيننا لنفيد ونسعد سكان كواكبنا ولكن قل لي إلى أي مدى من التطور وصلت إليه علومكم؟
- لقد بلغ التطور عندنا مرحلة متقدمة بحيث تمكنا من السيطرة على كل شيء حتى على مقدرات الطبيعة.
- هل استخدمتم هذه القدرات والطاقات لتطوير ورفاهية سكان أرضكم ؟
- نعم ولكن كان لتقدمنا هذا سلبياته حيث سيطرت دول على تلك العلوم واحتكرتها لنفسها مهددة كل شعوب الأرض ومجبرة إياها على الرضوخ مسخرة إياها لتحقيق مكاسبها ولو على حساب أهم نعم الله ألا وهي الحياة.
- انتظر لقد قلت عدة كلمات نطلب شرحها وتوضيح معناها ؟
- ما هي؟
- أولا قلت دولا ما هي هذه المسماة دولا؟
- الدولة هي مجموعة بشر تعيش على أرض محددة وتقودها حكومة تسير أمورها.
- وهل تعزل هذه الدولة كما تسميها سكانها عن بقية سكان الأرض؟
- نعم بل وتسعى لتسخير كل سكان الأرض لمصلحتها ومصلحة حكامها.
- وهل الحكام بشر مثلكم ؟
- نعم مثلنا تماما

- لماذا هم حكام؟

-لأنهم سادوا المجتمع عبر سلطات عدة أولها وأهمها الأديان

- ما هي الأديان؟

-الأديان هي شرائع سماوية يكلف الله نبيا يبلغ بها البشر وتكون تعاليمها دستورا لحياتهم،أراك مستغربا ألا تعبدون الله ؟

- نعم نحن نجل خالق الكون ولكن ليس لدينا رسل ولا أديان،وهل هناك أديان عدة على الأرض؟

- نعم هناك الكثير إذ كلما مرت فترة كبيرة من الزمن يرسل الله لنا رسولا يزوده بشريعة تكون لب الدين الجديد

- هل تختلف الأديان فيما بينها كشرائع سماوية ؟

- كلا ولكن رجال الدين ليتمكنوا من السيطرة ولضمان نفوذهم كانوا يوسعون الفجوة بين الأديان بل والأكثر من ذلك قام عدد كبير منهم ومن كل الأديان بشق وتقسيم الديانات إلى طوائف

- ما هي الطوائف؟

- هي مجموعات من دين واحد تتبع تعليمات رجل دين وتتقوقع على نفسها وتعزلها عن بقية الفئات على أنهم خيرة البشر

- وهل تحدث فتنة وقتال بين تلك الطوائف ؟

- نعم حدث وسيحدث الكثير طالما بقيت هذه المجموعات تبث سموم الفرقة والشقاق بين هذه الطوائف وبين أتباع الطوائف الأخرى وكذلك مع أتباع الديانات الأخرى بجميع طوائفهم محدثة حروبا قضت على الملايين من البشر عبر التاريخ.

- وغير الأديان ما هي السلطات الأخرى التي ترفع بالحكام ليسودوا المجتمع؟

- المصالح المادية التي تسعى لها فئات كثيرة في المجتمع ولو على حساب إخوتهم في الإنسانية وكذلك نظموا أحزابا تضم مجموعات تسعى للسيادة

- ما هي الأحزاب؟

- هي مجموعات من أناس التقت على أفكار معينة وضعها شخص أو عدة أشخاص تكون ميثاقا يجمع أتباع هذه الفكرة ومريديها لتتكتل وتشكل منظمة تمارس نشاطها بناء على توجيهات قياداتها.

- وما الفرق بينها وبين الطوائف ؟

- الطوائف يكون كل أتباعها من دين واحد أما الأحزاب يكون أتباعها من كل الديانات بجميع طوائفها

- وهل قامت الدول بأعمال رهيبة مؤذية للأرض وسكانها ؟

- نعم حدث الكثير إذ امتلكت دول أسلحة متطورة منها النووية والبيولوجية والكيماوية وغيرها من أسلحة دمار شامل، استخدمتها ضد دول أخرى قضت بموجبها على عدد كبير جدا من البشر ويوجد مخزون هائل من تلك الأسلحة في دول عدة تستطيع أقلها مخزونا أن تدمر الكرة الأرضية بكاملها

- هل قدمت هذه الدول فائدة ما للبشرية ؟
- نعم قامت بتطوير أمور عديدة منها الأدوية وأدوات الرفاهية وآلات تيسر وتسهل الحياة
- قلت أدوية ماذا تكون هذه الأدوية؟
-الأدوية هي مركبات تقدم للإنسان المريض ليشفى
- ماذا تعني بالمريض ؟
- المريض هو إنسان يصاب بخلل ما في أجهزة جسمه فتعيده الأدوية إلى حالته الطبيعية بعد أن تقضي على الخلل
- وما انعكاسات تقدمكم السلبية على طبيعة وبشر كوكبكم ؟
- كان لها عظيم الأثر حيث كانت تحدث هزات أرضية نتيجة للتجارب النووية وكذلك الأبخرة والسموم التي تنفثها مداخن المصانع مخربة الغلاف الجوي وكذلك ما تلقيه تلك المنشآت من مواد ضارة في مياه الأنهار والبحيرات والبحار مؤذية الكائنات الحية فيها

- وهل هناك تمييز بين سكان الأرض على أساس غير الدين؟

- هناك تمييز حسب لون البشرة وهو ما نسميه تمييزا عنصريا أو عرقيا بحيث يظن أصحاب البشرة البيضاء أنفسهم أكثر تطورا من ذوي البشرة السوداء والصفراء.
- ولم كل هذه التصرفات؟

- ليتحقق في نهاية الأمر مكاسب لشخص الحاكم أو الزعيم أو رجل الدين ومن حولهم من المقربين.
- والبقية؟
- البقية الباقية تعيش على الفتات أو ما يجود بها هؤلاء من النخبة.
- غريب أمركم تدمرون كوكبكم وتقتلون أنفسكم وكل ذلك من أجل متعة زائلة.
- هذا حال واقعنا على الأرض.
- وأنت ما الذي دفعك وحملك على القيام بهذه الرحلة؟
- لاستكشاف العوالم الأخرى والاتصال بها للوقوف على كل جديد في هذا الكون.
- وما هي الفائدة من ذلك؟
- لنستفيد من التقدم الذي وصلتم إليه أنتم وغيركم لنطور أنفسنا أكثر.
- لتتطوروا أكثر أم ليزداد جشعكم وطمع حكامكم ولتتمكنوا من إيذاء أناسكم وغيرهم ممن ستتصلون بهم من سكان الكواكب الأخرى ؟
- ليس الأمر هكذا.
- بل الأمر هكذا لم يرسلك حكام أرضكم إلا طمعا بالسيطرة على عوالم أكثر وأبعد،لاستغلال خيراتهم وتخريب أنظمة حياتهم.ولكن لن نمكنكم من ذلك إذ سنجعل مهمتكم مستحيلة لأننا لا نريد أن نصل لهذا الدرك من الانحطاط والتخلف الذي تسبحون فيه.

- تخلف. أي تخلف وأنا أنطلق في هذا الكون؟
- هذا ليس تقدما ولا تطورا بل استغلال للعلم وتسخيره في غير صالح الكون.
- كيف ذلك؟
- نحن في كوكبنا طورنا أنفسنا وعلومنا أكثر منكم ولكن سخرنا هذا التطور لتحسين شروط حياة كل من يعيش على هذا الكوكب.
- سخرتم ذلك لجميع سكان الكوكب؟
- نعم لكل من يعيش على سطح هذا الكوكب وكل الكائنات الحية إذ توزع الخدمات وكذلك كل الناتج على الجميع كل حسب جهده وعمله ولكن كل الأمور الأساسية والضرورية للحياة مؤمنة.
- مثل ماذا؟
- مثل المسكن والأمن والأمان والتعليم وغيرها.
- للجميع؟
- نعم للجميع دون استثناء ومن يريد زيادة هذه المكاسب عليه أن يبذل جهدا أكبر.
- ممتاز أنا أحسدكم على كل ذلك ولكن هل لي أن أشاهد كل هذه المعطيات.

- نعم سنقدم لك كل ما تريد ولكن دون أن تتمكن من نقل ذلك إلا بأفكارك.
- لماذا لا تفيدوننا بمعلوماتكم وأساليبكم هذه؟
- لأن كل ما نقوم به وحسب ما فهمت منك تستطيعون القيام به وتنفيذه بسهولة بقدراتكم وخبراتكم

الذاتية شرط توفر إرادة العمل الخيّر الذي نصّت عليه تعاليم أديانكم.

- بالمناسبة ما هي الديانة السائدة عندكم؟

- ليس هناك أي ديانة محددة.

- كيف ذلك؟

- نحن نعبد القادر العظيم ونقدسه ولكن دون شروط بحيث نقوم بكل ما ذكرت لك سابقا مرضاة له ولأنفسنا قبل ذلك،لأننا نعرف إن لم نكن نحن راضين فهو غير راض فبذلك نحقق الفوز العظيم،إذ لا تجد من يحاسب ولا من يحاسب.

- الفضول بدأ يأكلني ألا تطلعوني على تفاصيل حياتكم؟

- بكل سرور.

سارا سويا ورافقهما عدد من الأشخاص ذكروه بمرافقي المسؤولين في مجتمعات أرضنا. وكانت وجهة سيرهم قاعة عندما دخلوها كانت تشبه إلى حد كبير القاعات الرياضية المغلقة وكانت تعج بكائنات حثيثة الحركة دون أي كلام.

أجلسوه على مقعد خلف جهاز بعد أن ألبسوه قناعا يضم سماعات على أذنيه وجهازا شفافا وضع على عينيه يشبه إلى حد كبير النظارات التي يلبسها سائقوا الدراجات النارية والزوارق السريعة أبلغ عبر السماعات بأنهم سيطلعونه على كل شيء من مكانه هذا.

أول المشاهد التي ظهرت على شاشة الجهاز هي مدارس الأطفال حيث يتلقون علومهم حتى مرحلة ينتقلون بعدها إلى مجال أعلى فيحصلون على علوم يتخصص كل منهم في مجال رغبته إفساحا لطاقاته المجال لتتفجر ويتحقق الإبداع ، تفرس في الوجوه التي يراها فيجدها راضية مرحة بعيون صافية نقية تتطلع نحو معلميها بكل الحب والشغف.

انتقل المشهد إلى مدارس التخصص حيث كل مجموعة تدرس وتجرب وتتحاور بإشراف مدرس يدير كل ذلك ، التفت نحو محدثه مستفسرا، فقال له منبها:
- عليه متابعة كل شيء لأن المشهد الذي يعرض له لا يمكن إعادته وكل استفسار سنجيبك عنه دون أن تسأل نحن نقرأ أفكارك عن طريق الجهاز الموضوع على رأسك ، مط شفتيه مستهجنا وتابع المشاهد .

والمشهد الثاني نقل من المختبرات بما فيها مقر المفاعلات المتطورة جدا والتي تؤمن الطاقة لكل هذا الكوكب والموزعة بشكل مدروس ومترابطة مع بعضها البعض ويتم التحكم بها من مكان واحد حيث وسائل الاتصال عندهم متطورة جدا . دار بخلده سؤال : أين عوادم هذه المنشآت ومصارفها ؟ ، قال له محدثه:

- ما ينتج عن هذه المفاعلات والمختبرات يمر بمراحل تصفية وتنقية أما ما يتبقى فيدخل إلى آلات ضغط عال وتطبق عليها أيضا حرارة عالية فيتقلص حجمها لأقل قدر ممكن و بعدها يحفظ ضمن كبسولات ويترك ليتفاعل مع نفسه عبر زمن معين ثم نستعيده ونستفيد من الحالة التي صار إليها ، وهناك ناتج لبعض المصارف وبعد تكريرها تجمع المواد الصلبة وتدخل في آلة ذات ضغط وحرارة عاليين جدا فتحولها إلى صخور قاسية جدا غير قابلة للتفتت،انظر هناك تجدها حول أحواض الورود وحواف الممرات فهي جميلة جدا وذات ألوان متنوعة .

- و فضلات كائناتكم ما هو مصيرها ؟

- نحن لا نخرج فضلات إطلاقا .

- كيف ألا تأكلون وتشربون مثلنا ؟

- نعم نأكل ونشرب ولكنه أكل مدروس ومفكك بحيث يستهلكه الجسم بشكل كامل.

- ألا يكون هناك أي نواتج أو رواسب حتى؟

- نعم هناك رواسب في أجهزة الجسم وسنريك كيف نزيلها .

دار المشهد وإذا به يرى مصحات راقية واسعة نظيفة تديرها كائنات غاية في الأناقة والترتيب ، قال له محدثه :

- هنا وبشكل مدروس ومبرمج كل الكائنات تأتي لفترة من الزمن يتم فيها تنظيف أجسامهم من الرواسب التي سألت عنها وكذلك يتم إعادة تأهيل أعضاء الجسم لكل كائن على حدة لأن لكل عمل إجراءاته الخاصة بحيث يخرج الكائن بكامل صحته وطاقته

- ألا تمرضون ؟

- لا مرض عندنا لأن كل شيء في حياتنا مدروس ومبرمج بدقة

- وعندما تموتون ؟

- عندما ينتهي ويستنفذ الكائن كل مقدراته وطاقاته حيث لا تنفع معه أي محاولة لإعادة التأهيل يموت ويحول جسده إلى أجهزة تحلله إلى مكونات تناسب الطبيعة حيث يوزع كل عنصر إلى جهة يستفاد منه فيها وبذلك يعود لأصله،أليس عندكم هذا المعتقد من التراب وإليه نعود ، نحن نقول : " من الطبيعة وإليها نعود. "

- نعم صحيح أنتم على حق

- وأنتم ماذا تفعلون بأجساد موتاكم ؟

- هناك طرق عدة وحسب عادات وتقاليد كل شعب حيث الأديان نصت على أن يدفن بتراب الأرض التي إليها يعود وفي بعض البلدان يحرق الجسد وينثر رماده أو يحتفظ به في أوعية تبقى للذكرى وفي بعض الأماكن يوضع الجسد فوق أعلى قمة لتأكله الكواسر . كيف تتكاثرون أنتم ؟

- نحن نتكاثر عبر أجهزة متطورة جدا أنتم قد توصلتم إليها مؤخرا إذ نطور خلية حية ونصنع منها كائنا وأنتم كيف تتكاثرون ؟

- نحن نتكاثر بالزواج
- الزواج ! وما هو الزواج ؟
-الـزواج هـو التقـاء شخـصين مـن جنـسين مختلفين يتكون من خلالها إنسان جديد
- هل عندكم جنسان ؟
- نعم وكل الكائنات علـى سطح الأرض مكونـة من جنسين
- نحـن كـل كائناتنـا مـن جـنس واحـد لـذلك نحـن متشابهون لدرجة المطابقة وحتى بقية الكائنات الحية يتم تكاثرها عبر نفس الطريقة ولكن بأساليب مختلفة
- لقد قطعت علي طريقا كنت قد قررت أن أسلكه
- كيف ذلك و ما هو الطريق ؟
- كنـت ولمـا رأيتـه عنـدكم فـي عـالمكم مـن رقـي وحضارة و تقدم ومساواة والأهم الاحترام المتبادل بينكم الـذي يـشعر الكـائن بشخـصيته وكرامتـه وبموجـب هـذا قررت أن أبقى عندكم البقية الباقية من عمري.

لكن ولما تقدم لن أتمكن من ذلك لأن وجودي بينكم سيخلق لكم مشاكل أنـتم بحـل منهـا لأن تركيبـة جسدي تحتاج لشروط غير متوفرة عندكم . لقد سعدت كثيرا في هذه الفترة التـي أمضيتها عندكم وأتمنـى أن لا أكون قد أثقلت عليكم وسأنقل إلى الأرض كل مشاهداتي عسى أن يفيد أهل الرأي عندنا ويصلحوا مـا قد أفسد علـى يد من ذكرت من المفسدين

- إن أردت أن تبقـى فـنحن نرحـب بـك بيننـا.أمـا وبخـصوص تكوينـك الجـسدي فنـستطيع أن نخلـق نظامـا يناسبك

- شكرا جزيلا لكم لا فائدة،لأن كل شخص قدر له العيش في بقعة ما من هذا الكون عليه أن يرضى بها ويحسنها حسب الظروف العامة وأن يبذل جهدا ليجعلها أقرب للمثالية

- إن كانت هذه رغبتك فليس بوسعنا إجبارك على شيء رغم سرورنا بالتعامل معك والتعرف عليك لقد أفدتنا كثيرا ونتمنى لك رحلة موفقة

- أشكركم جدا وأكرر لقد سعدت كثيرا بتجربتي هذه

أعيدت له كل حاجياته وجهزت مركبته بكل ما يحتاجه في طريق العودة . وارتدى بزته واستقل مركبته بعد أن أقيم له وداع شارك فيه كل من تعامل معه من كائنات هذا الكوكب وما أن ارتدى خوذته حتى سمع صوتا يناديه :" أين اختفيت وفي أي مكان أنت الآن ؟ "

- أنا هنا في رحاب الكوكب الكامل،وأنا الآن في طريق العودة.

تلقى لكزة على كتفه و لطمة خفيفة على وجهه أيقظته فتح عينيه بكسل شديد ليرى وجه أمه البشوش يقول له استيقظ يا ولدي لقد غابت الشمس منذ فترة وعليك أن تحضر بعض الحاجيات الضرورية لعشائنا استوى في سريره ونظر إلى الكتاب الذي سقط على أرض الغرفة أثناء حركته هذه هز رأسه مبتسما وقال بينه وبين نفسه ليتني بقيت هناك.

## في عالم البحار

جلس مساء أمام التلفاز بعد أن أنهى دراسته.تبادل الحديث مع أمه حول أمور حياتهما بشكل عام ومتاعبها بشكل خاص مخففا عنها شقاء يومها بل عمرها كله مؤكدا أن الوقت قد مر سريعا ولم يبق إلا القليل ويتخرج لأن العد التنازلي لنهاية عامه الدراسي الأخير قد بدأ ويوم راحتها قد اقترب،ولأنه آن لها أن تركن في هدوء وسكينة بقية عمرها.

لفت انتباهه منظر يعرضه التلفزيون.دقق قليلا في تلك المشاهد الساحرة التي تمر أمامه وكان الموضوع عن عالم البحار حيث يقدم تقريرا مصورا عن رحلة علمية يقوم بها غواصون محترفون لدراسة هذا العالم الرحب الزاخر بالعديد من الكائنات الحية.وكذلك هذه الهندسة العالية الدقة لأشكال تبدو وكأن أيادي خبيرة لخيرة مهندسي الديكور والفنانين التشكيليين قد أنهت لمساتها الأخيرة عليها وركنت تراقب نتيجة عملها الذي يعجز اللسان عن وصفه.

وكذلك ما يتحرك بينها من كائنات سابحة تضم أسماكا بكافة أنواعها وأشكالها وألوانها،وكذلك الأصداف والقواقع والعدد الكبير من الأنواع التي تسمى ثمار البحر.وكذلك لفت انتباهه هذه الشعاب المرجانية بألوانها البديعة وتلك الكتل المتجمعة من أصناف عدة من الإسفنج.

فتح عينيه على طلة تسلب الألباب كانت فتاة سابحة حتى منتصف جسدها الذي ظهر من فوق سطح البحر الذي بدا شديد البياض لدرجة يدفع بالناظر أن يحول بصره خشية الأذية من انعكاسات أشعة الكون على جسدها.

اقترب منها مبتسما وفي عينيه نظرة تحمل كل أسئلة العالم،رغم أنه بذل جهدا للحفاظ على هدوئه وسكينته خشية أن يجفلها ، كلما اقترب منها أكثر وضحت معالم جمالها أكثر سحرا.إنها درة تظهر من الماء.

لو لم يكن متأكدا أنه يسير بقدمين حافيتين على رمال الشاطئ ، وأمواج البحر وزبدها تلطم ساقيه لقال بينه وبين نفسه أنه واهم.

جمال أخاذ ، عينان واسعتان صافيتان،شعر أسود مسبل وملتصق ببشرتها نتيجة بلله بحيث غطى ما ظهر من جسدها مظهرا التضاد بينه وبين لون بشرتها البراقة التي بدت وكأنها نحتت من كريستالة خرافية مزجت أثناء تكوينها بمسحوق اللؤلؤ والألماس ، جبينها عال أملس لا غضون فيه.أما فمها فقد بان وكأن يد الخالق قد نسيت أو تناست تلك الكرزة الإلهية هناك ، أما ذقنها فظهر من استدارته أن يد صانعه قد رفعت الآن ، أما ما بان من الرقبة فكانت كعنق إبريق من لجين كالذي تستخدمه ملائكة الخيال في وضوئها قبل أن تمثل بين يدي خالقها ، أما انسياب ما ظهر من جسدها فكان كزجاجة عطر أمضى صانعها سني عمره ليبدعها.

اقترب أكثر وشغف الأرض والسماء يتملكه بحيث أصبحت قدماه تسيران وكأن قوة خارقة نفخت تحتهما فرفعتهما مانعة إياهما من أن تلمسا رمل الشاطئ .

مدت يديها وكأنهما غصنا مرمر برزا من تحت الماء ، أمسك يديها بكلتا يديه وأدنى فمه منهما ولثمهما ورفع نظره مركزا في استدارة هذا البدر التام الهيئة. أدار رأسه متطلعا نحو القمر مقارنا.

نقل نظره بين القمرين مرات عدة إلى أن حسم أمره وتجاهل قمر السماء واكتفى بقمر واقعي مستحمٍ بضوئه . قال بصوت لا يكاد يغادر صدره:

- من أنت أيتها الملاك؟

- أنا برلنت ابنة ملك ملوك عالم البحار

- لم أنت هنا في مثل هذا الوقت؟

- جئت تنفيذا لشروط مجلس حكماء عالمنا

- ما هي هذه الشروط؟

- لقد رأيت حلما منذ فترة بأنني غادرت قصر والدي وتحولت إلى كائن آخر.وهذه إشارة متعارف عليها عندنا يعرفها كل حكماء عالمنا الذين أوصوا بها لوالدي بعد أن استشارهم، وهي أنه يتوجب علي أن أغادر القصر وأزور شطآن عالمكم بمفردي دون أن أصطحب أيا من وصيفاتي وأن أمكث لأراقب من تحت الماء رواد تلك الشواطئ حتى ألتقي برجل أسكن إليه ويملك علي أحاسيسي.

- وهل التقيت بهذا الشخص؟

- ما رأيك أتعتقد ذلك أم لا؟

سرت في جسده قشعريرة كادت أن تفقده وعيه،إلا أنه تمالك نفسه وتماسك.قبل يديها ثانية مبديا سروره لما تكنه له من مشاعر.

- ما الذي ستفعلينه بعد ذلك؟
- علي أن أصطحبه إلى عالمي إن وافق على ذلك.
- وما الذي سيفعله هناك؟
- سيقوم بجولة شاملة في رحاب عالمنا وإن أعجبته حياتنا ووافق على البقاء عندها أصبح زوجة له وسيرث عرش والدي.هذا عرف عالمنا الذي علينا احترامه.
- وإذا لم تناسبه حياتكم؟
- تكون تجربتي قد فشلت وسيختار والدي إحدى شقيقاتي للقيام بمحاولة خاصة بها.
- لم لا تبقين معي هنا فالحياة خارج الماء أيضا مريحة؟
- لا أستطيع،لأنه إن لم أعد ستخرب مملكتنا وستحدث الفتن وسيعزل والدي ويتحول إلى عبد عند الملك الجديد وهذا ما لا أرضاه لوالدي الذي أجل وأحترم.
- معك حق ولكن كيف لي أن أعيش تحت الماء وأنا أتنفس برئتين ؟
- لا عليك سنجري على تكوينك بعض التعديلات بحيث يصبح لك خياشيم تفرز الأوكسجين لرئتيك وعندها تستطيع التنفس تحت الماء وخارجه مثلي تماما
- هل أستطيع العودة متى أريد إلى عالمي؟

- نعم تستطيع ذلك ويكون بإمكانك اصطحابي معك إن رغبت في ذلك

- وهل هذا ممكن ؟

- نعم ممكن جدا.

- لم لا تتجولين معي الآن على الشاطئ.

ظهرت بكامل جسدها وكانت المفاجأة إذ كان نصف جسدها السفلي نصف سمكة

- أنت حورية إذا !

- نعم أنا حورية ولكن ما أن يتم الزواج حتى أتحول إلى كائن مثلك تماما

نظر إليها ومد يده إلى ذؤابة شعرها مبعدا إياه عن أذنها ليجد شقا محكم الإغلاق عرف أنها الخياشيم حيث تقفل بمجرد الظهور فوق سطح الماء وحينها تتنفس عبر رئتيها ، أعجبته الفكرة ، ولإرضاء حب المغامرة عنده قرر أن يرافقها مهما كانت النتائج وخصوصا أنها أكدت له أن باستطاعته العودة إلى عالمه متى يشاء

ضحكت وضمته بكلتي يديها مقبلة رأسه كعادة أهل عالمها إذ لا يجوز تقبيل فم الحبيب قبل الزواج

- هل ستجلب معك شيئا ؟

- لا، لا حاجة لذلك وأعتقد أنكم ستوفرون لي كل متطلباتي

- بالطبع ولكن علي أن أجري عليك التعديل قبل كل شيء

- هنا على الشاطئ ؟

- نعم .

وبكل بساطة أضجعته على الرمل و مرّت بيديها على شعره بحركات دائرية أحس من خلالها بدغدغة مسكرة . كررت الحركة عدة مرات ولفترة غير قصيرة حتى أغمض عينيه وعندها أنزلت يديها على وجهه ملامسة كل أنحائه حتى استسلم تماما.

فتح عينيه إثر قبلة على جبينه أعادت إليه وعيه إذ أن برودة شفتيها التي لامست جبينه كانت كقطعة ثلج رميت بشكل مفاجئ على جسد مسترخ. مد يده ولمس خلف أذنه ليجد شقا مغلقا.لمس الجهة الأخرى فوجد نفس الشق سألها :

- هل انتهى كل شيء؟
- نعم
- وبهذه السرعة ؟
- أجل فأنا بارعة في هذا المجال
- هل أستطيع التنفس تحت الماء ؟
- نعم كما تتنفس فوق الماء وتستطيع الغوص بسلاسة

نظر إلى قدميه متوقعا أن تكون قد ألبسته حذاء الغوص ولكن ويا لهول ما رآه إذ تحول نصف جسده السفلي إلى جسم سمكة ، تملكه الغيظ إذ توقع أنه وقع ضحية مؤامرة دبرت ببراعة ، ولكن وبلمسة من يديها على وجهه وبابتسامتها الساحرة أعادت الطمأنينة لنفسه وقالت:

- كل شيء سيعود إلى أصله ما أن نتزوج
- وإن لم تعجبني الحياة عندكم ؟
- عندها أعيدك كما كنت
- إني أثق بك وبنفس الوقت أحذرك من الغدر
- اطمئن لن أغدر بك.وكيف أقوم بذلك وأنا التي اخترتك من بين آلاف ممن التقيت بهم فأنت حبي

سرّ بقرارة نفسه لهذا الاعتراف وقرر أن يخوض التجربة وقال:

- متى نغادر ؟
- الآن ولكن من هذه اللحظة حتى تعود إلى عالمك سيكون اسمك ياقوت
- اسم جميل "ياقوت زوج برلنت "

ابتسمت بحياء العذارى وسحبته من يده وغاصا في الأعماق وبذلك بدأت تجربة جديدة وفريدة من نوعها ،

سبحا فترة طويلة وكان في غاية السرور عندما تأكد من مقدرته على الحياة تحت الماء ، ومع مرور الوقت ازدادت الطبقة العليا من جلده صلابة وخشونة لمسها بيده فوجدها محززة بشكل بديع وكأن رداء من الحراشف قد غطى جسده.نظر إليها فوجدها قد تحولت أيضا سألها عن ذلك فأجابته:

- يجب أن يكون جلدنا هكذا ليستطيع الاستمرار تحت الماء وإلا تعرض للتلف والتموّت.

لاح برأسه معبرا عن عدم رضاه ، ولكن ليس باليد حيلة فالأمر خرج من يده ، تابعا و في طريقهما صادفا كائنات عدة ومن كل الأجناس وجميعها كانت تبدي احتراما فائقا وتظهر ولاءها لولية العهد ،

بهر بالحالة وأخذ بها لدرجة تخيل أن هذا الولاء له هو كوريث لعرش البحار ، استمرا هكذا حتى أصبحا على مقربة من حدود قصر الملك. أمعن النظر ليرى من بعيد قصرا فارهاً لم ير له مثيلا لا في الأحلام ولا فيما يعرض على شاشات التلفزة من أفلام خيالية . كان قصرا أبيض حليبياً وكلما اقترب أكثر منه بدت معالمه أوضح حيث كانت نوافذه وكأنها شرائح ماس وحوافها قدت من مرجان أما البوابة التي صارا أمامها فكانت مشغولة من عاج استخلص من عظام حيتان هائلة طعمت بالذهب و اللؤلؤ، فتحت البوابة مجموعة من الحوريات اللاتي طغت على وجوههن سيماء الجدية والصرامة مع كل محاولاتهن لإخفاء رقتهن وصفاء سرائرهن الدالة على جمال أصيل.

قدمت الحوريات فروض الطاعة والاحترام مع توجسهن من القادم الجديد،رغم أملهن بأن تتحقق المعجزة ليعم الصفاء والوئام على عالمهم الجميل .

تجاوزا أرجاء حدائق القصر الزاخرة بكل تحف العالم التي غرقت عبر الزمن.وكان قد تم تنسيقها بشكل يريح النظر ويبهج النفس إلى أن وصلا مدخل القصر الفخم الذي فتح على مصراعيه.

ولجاه مستعرضين صفين من الحوريات تطلع إليهن بابتسامة عبرت عن وجد يعتمر نفسه

تابعا طريقهما ودخلا قاعة العرش ومثلا بين يدي ملك الملوك الذي استوى على عرش عظيم،وكانت الابتسامة ترتسم على محياه تعبر عن رضاه لفوز أميرته بمبتغاها.

تقدمت الأميرة بخشوع وقبلت يدي وجبين والدها ، وتنحت جانبا مفسحة المجال لرفيقها الذي تقدم بدوره مقلدا الأميرة بكل الوجل الذي يحس به من يقف في حضرة شخص عظيم.

قدمت الأميرة مرافقها لوالدها بكل أدب فرحب الملك به بوداعة أثلجت صدره متمنيا له إقامة طيبة تجلب الفائدة له والسرور للمملكة

أحنى رأسه مرة ثانية وقال بكل اعتزاز سأبذل جهدي لأكون عند حسن ظنكم وظن الأميرة ولية عهدكم.

اقتاد الملك ابنته ورفيقها إلى قاعة تشبه إلى حد كبير قاعات الاستقبال في القصور الرئاسية الفخمة والمخصصة لاستقبال كبار الزوار.

تلفت فيما حوله ليجدها قاعة فخمة غاية في الترتيب،إذ أثثت بأثمن وأندر النفائس مما تجود به طبيعة عالم البحار من إسفنج رائع وضع على أرائك صنعت من أغصان المرجان وطعمت باللآلئ ، أما الطنافس فكانت مصنوعة من إسفنج غاية في النعومة والطراوة.أما الإضاءة فقد تولتها كائنات تصدر عن أجسامها أشعة تشبه وميض نجوم السماء وكان لانعكاسها في الماء عظيم الأثر في النفس.

قدمت لهما ضيافة صفت على أطباق صنعت بشكل رائع من أصداف عملاقة.وكان الصنف الطاغي هو نوع من ثمار البحر يشبه إلى حد كبير البلح الأحمر ، تذوقها فوجدها غاية في اللذة تذوب كما يذوب السكر في الفم.

- ما اسم هذا الصنف؟

- يسمى عندنا حلوى الملك ، ولا يوجد منه في عالمنا سوى كميات قليلة تنمو في أماكن نائية يصعب على أمهر غطاسيكم الوصول إليها.

- إنها لذيذة جدا هل أستطيع تناول المزيد منها؟

- كلا لا تستطيع لأن الإكثار منها قد يضر بصحتك الآن لأنك مستجد عندنا.اصبر وستنال كل ما تريد.

- هز رأسه موافقا على مضض.

وبعد ذلك قادهما الملك في جولة ضمن رحاب القصر حيث رأى ما يبهر العين لجمال ودقة وأناقة محتوياته. فعلا إنه قصر ملك الملوك.وبعدها عادوا جميعا إلى قاعة العرش حيث أشار عليهما بأن يركنا لراحة يستجمعان بها قواهما بعد تلك الرحلة.

استيقظ من نوم لا يعرف كم دام تمطى واستسلم لاسترخاء في سريره المصنوع من عاج وكان مفرشه من إسفنج لدن غاية في النعومة والطراوة ، دخلت عليه وصيفة تحمل له وجبة إفطاره التي ذخرت بنفائس أطعمة عالم البحار.وبعد أن أنهى طعامه غادر السرير متجها نحو قاعة العرش لكن الوصيفة منعته طالبة منه الانتظار لأن الأميرة لا تزال نائمة وأنه من الأفضل له أن ينتظرها ليترافقا وليمثلا بين يدي الملك فيحقق الأمرين الحسنين مرافقتها والفوز برضا الملك الذي سيسر برؤيتهما معا.

أمضى فترة من الزمن متنقلا من نافذة لأخرى مستطلعا ومستمتعا بالمناظر الخلابة التي تبديها حدائق القصر وبينما هو في حالة السهوم هذه أجفلته لمسة رقيقة أيقظت كل شيء فيه.

تطلع إلى هذا الوجه الصبوح الباسم المعتمر لتاج الإمارة ، وبابتسامتها الأخاذة مدت يدها لتمسك بيده ثم قادته حتى يمثلا في حضرة الملك الجليل الذي نزل عن عرشه مهللا وبكل الحب الأبوي.اصطحبهما إلى البوابة وطلب منهما القيام برحلة استطلاعية في أنحاء المملكة ليتمكن الضيف العزيز من رؤية كل شيء على أرض الواقع ليتمكن بعدها من اتخاذ القرار الذي يراه مناسبا بكل حرية ، ودعهما متمنيا لهما رحلة موفقة ، وبعد أن غادرا عاد الملك ليستوي على عرشه وابتسامة الرضا تعلو محياه.

وبعد أن تجاوزا أسوار وحدائق القصر أصبحا في فضاء مائي رحب الأرجاء ، تلفتت نحوه قائلة :

- نحن الآن أحرار وبحل من كل تقليد بحيث نستطيع التوجه لأي جهة تريدها.

- أنا هنا ضيف عندكم لذا أرجو أن تتولي هذه المهمة.

- شكرا على ثقتك إذا سنقصد الآن إمارة الإسفنج.

- وهل للإسفنج إمارة؟

- نعم لكل صنف من أصناف عالمنا إمارة خاصة به وتعتلي عرشها إحدى شقيقاتي اللاتي عجزن ولم يستطعن الحصول على شريك لحياتهن يرضى العيش في عالمنا.

- يعني إن فشلت مهمتي سيكون مصيرك مشابها لهن؟

- نعم رغم أن الحياة في هذه الإمارات مريحة جدا إذ تكون الأميرة هي الآمر الناهي في إمارتها. ولكن الأمر المحزن في حياتهن هو حرمانهن من ولوج قصر الملك نهائيا وطيلة حياتهن.

- كيف يتم الاتصال بين الملك والأميرات إذا؟

- يتم عبر رسل يبعثهم الملك وإن كانت هناك حاجة ماسّة للقاء الملك فيتم ذلك في مكان يسمى عندنا منطقة التصافي وهي منطقة تقع خارج القصر ، يكون الملك فيها بأسمى حالاته النفسية رواقا،إذ يسمع شكواها بكل الحب الأبوي ويلبي لها كل احتياجاتها ومن ثم يغادران فبذلك تكون الأميرة قد نالت مبتغاها وحصلت على سعادة لم تكن تحلم بها.أما الملك فتنتابه لفترة من الزمن حالة كآبة وغم لعدم تمكنه من مخالفة شريعة المملكة لأن أية مخالفة في مثل هذه الحالة تذهب بالملك والمملكة وتعم الفوضى لأن الاستثناء ممنوع كونه من أهم أسباب التسيب والانحلال .

تبقى حالته هكذا حتى تصله أنباء سارة عن المملكة لأن أكثر ما يحزنه هو قيام جزء من المملكة بالاعتداء على جزء آخر كونه يعتبر هذا قمة في القسوة والظلم لأن المعتدي يكون في الغالب قويا ومعتمدا على مساعدة أصحابه أما المعتدى عليه فيكون على الأرجح ضعيفا مهيض الجناح لذلك يسعى الملك وبمعاونة مجلس الحكماء لحل الخلاف ومعاقبة المعتدي والتعويض على المعتدى عليه

- كيف يستطيع ذلك ؟ وهل يوجد في عالمكم هيئة يخضع لها الجميع وتكون من القوة بحيث تستطيع فرض العدل وتحقيق الأمن للجميع ؟

- نعم لدينا هيئة مؤلفة من حكماء منتخبين من جميع الإمارات تكون لقراراتهم الصفة التنفيذية بحيث إذا تعند فريق ورفض الخضوع توجه له قوة مكونة من مجموعة كائنات ضخمة عاتية القوة تلزم المعتدي بأن ينصاع للحق وتفرض عليه عقوبة مضاعفة جزاء له وعبرة لغيره.أليس عندكم مثل هذه الهيئة ؟

- نعم عندنا هيئة مؤلفة من مندوبين عن جميع الدول ولكن لا حول لها ولا قوة إذ أن قراراتها تذهب في مهب الريح لأن هناك قوى طاغية متجبرة تتحكم بها وتسيطر عليها من كل النواحي و خصوصا المالية منها لذلك لا تستطيع هذه الهيئة إعادة الحق لأصحابه وليس لها القدرة على معاقبة وردع المعتدي بل وفي كثير من الأحيان يعاقب المعتدى عليه بناء على رغبة المعتدي المدعوم من تلك القوى الغاشمة.

- هذا شيء فظيع لأن الظلم حرام إذ يجب أن يعم العدل والأمن والاحترام جميع المخلوقات أينما وجدوا و أياً كانت أجناسهم.

- هذا ما يجب أن يكون ولكن القوة للقوة.

وهما في غمرة هذا الحوار أمسكت بيده وهزتها برقة منبهة إياه بأنهما أصبحا أمام بوابة إمارة الإسفنج التي فتحت لمجرد اقترابهما منها

رافقتهما مجموعة من الحوريات الحراس إلى قصر الأميرة التي ما إن رأتهما حتى أسرعت للقياهم بكل الحب والشوق لشقيقتها التي طال أمد فراقها إذ لم تلتقيا منذ أن غادرت القصر إلى هذه الإمارة

رحبت بهما وأطرت بالكلام على رفيق شقيقتها الذي توسمت به خيرا بأن يستطيع أن يتجاوز هذا الامتحان الصعب الذي لا يستطيع اجتيازه إلا الذين يتمتعون بإرادة صلبة

قادتهما إلى قاعة عرشها الفخم وقامت بواجب الضيافة مفسحة المجال لهما لينعما بقسط من الراحة ليتمكنا من متابعة جولتهما في إمارتها وباقي الإمارات الأخرى ليعودا بسرعة.لذلك يسرت لهما كل شيء ضمن نطاق إمارتها بأن رافقتهما في جولتهما لتبقى أطول فترة مع شقيقتها كون حنينها لأهلها كان كبيرا.

تولت بنفسها القيام بالشروح عن كل ما تحتويه هذه الإمارة إذ بينت لهما كيف تتم تربية الإسفنج من البداية حتى نهاية عمره حيث يجمع ويرسل إلى الملك ليتصرف به حسب مقتضيات المصلحة العليا للمملكة

- وهل يوجد أصناف عدة من هذا الإسفنج؟

- نعم عندنا الآلاف من أصناف الإسفنج منها الناعم ومنها الخشن ومنها الملون والكروي الشكل وسترى كل شيء بعد قليل

- " شكرا ... " قالها والابتسامة ترتسم على شفتيه لأنه من محبي الإسفنج ، وبالفعل تابع كل مراحل تربية الإسفنج وطرق العناية به وكيفية حمايته من الكائنات الضارة له،وكذلك آلية دفاعه الذاتي عن نفسه وكيف يتغذى ومن يساعده من كائنات محيطه على النمو

- هل عندكم متخصصون بهذا المجال ؟

- نعم لدينا فرق لكل منها اختصاصها الذي تقوم به بكل دقة وتقنية

- من يقوم بجمع الإسفنج الكامل النمو ؟

- هناك مجموعات من الحوريات العاملات يقمن بجمع المحصول وتوضيبه بعد فرزه حسب نوعه ومن ثم يرسل إلى قصر الملك أسوة بمنتجات الإمارات الأخرى بحيث توزع هذه المنتجات على كل الإمارات كلا حسب حاجتها فبذلك يتحقق التكافل والتكامل والتضامن

- ألا تأخذون بدلا ماديا عن ذلك ؟

- مثل ماذا ؟

- كالنقود مثلا

- مثل هذه،وأشارت بيدها إلى كمية هائلة من نقود متنوعة ذهبية وفضية ونحاسية ملقاة في قاع البحر ولا يعلم سوى الله كم مضى على وجودها هنا

قال بينه وبين نفسه:

" يا إلهي هذا كنز كبير لو تمكنت من الحصول عليه لأصبحت ملكا ولبسطت نفوذي على أكبر جزء من عالمي "

- نحن لا نحتاج لما تسمونه النقود لأننا في عالمنا نتبع سياسة المقايضة التي ذكرتها لك فبذلك تزول المنافسة وتختفي الأطماع حيث لا فروق في الأسعار بين منتجات الإمارات جميعا ، وفي حال شذوذ أي مجموعة من أية إمارة كانت تعاقب. وإن لم تنفع معها العقوبة يقرر مجلس الحكماء بأن تطرد خارج حدود الإمارة وتترك لمصيرها

- ما الذي ينتظرهم هناك ؟

- في عالمنا وخارج حدود الإمارات ولأسباب كثيرة أهمها عدم تمكن كائنات ضخمة جدا من العيش في مجال محدود لذلك سمح لهذه الكائنات بأن تعيش طليقة وتم تكليفها الاقتصاص من تلك المجموعات الشاذة بأن تلتهمها متغذية عليها وبنفس الوقت تخلص عالمنا من شرورها ، ومن أهم هذه الكائنات الضخمة الحيتان الكبيرة وأسماك القرش العملاقة والإخطبوطات الخرافية

- رائع جدا أن يتواجد في العالم مثل هذه الكائنات القوية لردع ذوي النفوس والعقول المريضة

تابعا جولتهما في الإمارة حتى آخرها ثم عادوا جميعا إلى القصر حيث أعدت لهم وليمة زاخرة بما لذ وطاب وبعدها باتوا ليلتهم. وفي اليوم التالي غادرا الإمارة مودعين بحفاوة كبيرة مصحوبين بتمنيات الأميرة بأن يتما رحلتهما بيسر وسلام تلفت نحوها وقال:

- إلى أين سنتجه الآن ؟
- سنقصد إمارة المرجان
- رائع إذ سأرى بأم عيني هذا العالم الغامض الذي أثار طمع البشر منذ قديم الأزل. حيث قضى العديد منهم وهم يحاول الحصول عليه

تابعا السير مجتازين المسافة الفاصلة بين الإمارتين حيث صادفا في طريقهما الحيوانات الضخمة التي كانت رابضة ساكنة في وضعية ترقب وكأنها تكمن لعدو ما حيث كان مشهدها يدل على عدم قلقها وكذلك كانت حركاتها البسيطة ونظراتها نحوهما عظيمة الأثر عليهما

- لم تكمن هذه الحيوانات بهذه الوضعية هنا ؟
- إنها تأخذ قسطا من الراحة بعد أن أنهت دوريتها حيث تكون قد جابت مسافات كبيرة ثم سلمت المهمة لمجموعة أخرى بينما تولت هي مهمة المراقبة .
- كيف يتم الاتصال والتواصل فيما بينها ؟
-إنها تملك جهازا عصبيا شديد الحساسية و غاية في التطور يمكنها من التواصل فيما بينها عبر ذبذبات وإشارات محددة وكذلك تستطيع رصد الغرباء و تحديد أماكنهم بدقة وكذلك أجناسهم .
- إذاً لها مهام أخرى غير تعقب ومعاقبة المخالفين !
- نعم لها مهام أخرى حيث تقوم بالحراسة الكاملة لحدود الإمارات وكذلك نقل المؤونة من قصر الملك إلى الإمارات و العودة محملة بمنتجات تلك الإمارات إلى القصر الكبير وتكون قد وزعت المهام فيما بينها بشكل منتظم لذا تجد كل شيء يتم بهدوء و نظام .

نظر إلى الأعلى فشاهد جسما كبيرا يرخي بظلاله على منطقة واسعة من قاع المحيط سألها :

- ما هذا الشيء ؟

-هذه ناقلة ضخمة يستخدمها أهل عالمكم لنقل مواد كثيرة ومنها سائل أسود رهيب يجلب لنا الشؤم .

-إنه النفط .....

- هذا ما تطلقونه عليه أنتم إنه من أخطر المواد التي تنقل عبر المحيطات ويزداد خطرها أثناء الاقتتال بين الدول عندكم بحيث تتعرض تلك الناقلات للقصف مما يؤدي لتسرب هذا السائل الضار جدا لبيئتنا إذ تكون كائناتنا أولى ضحاياه .

- هل يحدث هذا الأمر كثيرا ؟

- نعم يحدث كثيرا ونعاني كثيرا من جراء ذلك رغم ما نبذله من جهود لدفع وإبعاد هذه المواد عن الأماكن المأهولة .

- ألا تقوم تلك الدول بتنظيف المياه من هذه المواد .

- نعم يوجد بعض منها لا يزال عند طبقتها الحاكمة شيء من شعور و بقية من ضمير تقوم بهذه الأعمال التي تكون في أغلب الأحيان فوق طاقاتها و إمكانياتها .

- وهل تلقى مواد أخرى غير النفط

- نعم هناك الكثير منها حيث تقوم بعض الدول بإلقاء كل ما تريد التخلص منه ويصعب عليها معالجته أو دفنه في أراضيها في المياه فتريح نفسها وتلقي تبعة ذلك علينا

إذ يصبح لزاما علينا أن نقوم بإبعاد تلك المواد عن أماكن عيش كائناتنا لتخفيف الضرر قدر الإمكان .

- مثل ماذا ؟

-هناك أوعية أسطوانية تلقى و تكون في الغالب محكمة الإغلاق فبذلك يبقى خطرها قليلا ولكن ما أن تتعرض تلك الأوعية للتلف حتى تبدأ محتوياتها بالتسرب وهنا تقع الكارثة إذ تكون تلك المواد الشديدة السمية مصدر خطر على محيطنا و كائناتنا وخصوصا الأسماك لأنها دائمة الحركة و التجوال وما أن تتعرض لهذه المواد حتى تظهر على أجسامها تشوهات تتطور لتقضي عليها دون أن نتمكن من مساعدتها لأن ذلك أكبر من إمكانياتنا

-هذه نفايات كيماوية وتكون في معظم الأحيان سامة.

- لماذا لا تتخلصون منها في عالمكم ؟

-لأن الدول التي تنتجها لا تستطيع الاحتفاظ بها أو دفنها في تربتها خوفا وحرصا على سلامة مواطنيها، وكذلك لأن الكثير من الدول ترفض استقبال هذه المواد مهما كانت المغريات المادية كبيرة.إلا أنه يوجد في بعض الأماكن بعض من ضعاف النفوس ممن باعوا ضمائرهم يوافقون على تهريب ودفن هذه النفايات الخطرة في أراضيهم متجاهلين آثارها السلبية على الطبيعة والبشر،وخصوصا أنهم يقومون بهذا العمل خلسة بحيث لا يتوفر لهم الوقت الكافي لإجراء عمليات دفن تلك المواد بشكل علمي وصحيح بحيث يؤدي تسرب تلك المواد إلى تلوث المياه الجوفية ، وكذلك انبعاث الأبخرة التي تسمم الهواء . لذلك تجدين أن هناك انتشارا كبيرا

لأمـراض لـم نكـن نعرفهـا مـن قبـل وتكـون فـي معظـم الأحيان قاتلـة إذ لا عـلاج لهـا ويكـون مصير من يصاب بها الدفن في التراب.

- إذا أنتم تعانون مثلنا؟

- نعـم نحـن نعـاني أكثـر مـنكم لأن المـساحات التـي تـستطيعون العـيش فيهـا كبيـرة جـدا فبـذلك يتـسنى لكـم الابتعـاد عـن أمـاكن الخطـر والعـيش بـسلام أمـا نحـن فالمساحات التـي نعيش عليها محدودة لذلك يتعذر علينا إبعاد الخطر أو الابتعاد عنه.

- انظر لقد تحركت الحيوانـات أستطيع أن أخمن أن هناك خطراً بدا لها.

- مثل ماذا؟

- لننتظر ونراقب.

تابعا سيرهما وهما يراقبان ما يحدث أمامهما إلى أن لفـت انتباههمـا مجموعـة مـن الغطاسـين يتجولـون فـي المنطقة مروا بالقرب منهما دون أن يلحظوا وجودهما ، راقباهم إذ كانوا يحملون معهم أجهزة عدة وكذلك أسلحة تستخدم تحت الماء.

لحقا بهم من بعيد وكذلك سبحت الكائنات الكبيرة وهـي تراقـب بحـذر شـديد هـؤلاء الغربـاء الـذين تـابعوا طـريقهم حتـى وصـلوا إلـى منطقـة صـخرية تنمـو عليهـا شجيرات كثيفة.

دخلت تلك المجموعة في فتحة تشبه باب كهف اقتربا أكثر حتى وصلا إلى تلك الفوهة ونظرا إلى الداخل فوجدا المكان مضاء بواسطة كشافات استقدموها معهم مما أتاح لهم رؤية كل شيء بشكل واضح إذ قاموا بتجهيز وتشغيل كاميراتهم وبدؤوا بتصوير الكهف من الداخل وكان جل تركيزهم على سمكة كبيرة الحجم غريبة المظهر لم يسبق لهم أن رأوا مثلها من قبل.

كانت عيناها واسعتين وفمها كبير لها زعنفة في أعلى رأسها تشبه أعراف الخيل وكذلك كان جلدها مرقطا.

اقترب منها بعض من الغطاسين وبدؤوا بمداعبتها لحملها على الحركة ومغادرة موقعها وبالفعل تحركت بكسل كاشفة فجوة متوسطة الحجم في جدار الكهف كانت قد خبأت صغارها فيها عندما أحست باقتراب الغرباء منها.

أمسك أحد الغطاسين بفرخ صغير وبدأ بإجراء الفحوصات والقياسات عليه في الوقت الذي كان فيه رفيقه يسجل تلك المعلومات تابعوا عملهم وغادروا المكان راقبناهم حتى اختفوا.

- هؤلاء علماء يقومون بدراسة واستكشاف عالمكم.

- نحن نصادف العديد منهم ورغم أن معظمهم يكونون مسالمين إلا أننا لا نستطيع إلا أن نكون حذرين.

- هذا حقكم وهل أحست حيواناتكم الكبيرة بذلك؟

- نعم ألم تر أنهم لم يعترضوا طريقهم بل اكتفوا بالمراقبة مع جاهزية كاملة لتلبية ونجدة من يتعرض للخطر.

- أحسدكم على تنظيمكم هذا

- نحن نخضع لنظام صارم لا يسمح للخطأ فيه لأن الخطأ مهما كان صغيرا يكون مميتا فحياتنا وحياة كائناتنا الحية ثمينة جدا عندنا وعند حكام إماراتنا

- هذا عكس ما يحدث عندنا إذ أن آخر شيء يفكر فيه الحكام هو حياة مواطنيهم بل وفي كثير من الأحيان ومن أجل إرضاء غرور ورغبة الحاكم تقوم حروب طاحنة تزهق أرواح العديد من البشر دون أي فائدة تذكر وقد حدث هذا الأمر كثيرا فيما مضى وسيحدث لاحقا إذا ما بقيت هذه المفاهيم سائدة.

تابعا سيرهما بمرافقة ثلة من الدلافين الوادعة التي أخذت تداعبهما وتسليهما بحركاتها البهلوانية كي لا يحسا بطول المسافة.وبالفعل لقد مر الوقت سريعا بحيث قطعا تلك المسافة دون أن يشعرا بالتعب أو الملل ، لم يعد يفصل بينهما وبين إمارة المرجان سوى مسافة قصيرة جدّا السير حتى أصبحا بالقرب من سور قرمزي اللون.التفت نحو الأميرة مستفسرا

- هذه إمارة المرجان انظر كم هي بديعة !

- نعم إنها في غاية الروعة

وما أن اقتربا حتى فتحت البوابة حيث قدمت لهما حوريات الحراسة التحية ورافقتهما مجموعة منها في الطريق إلى قصر الأميرة الذي بدا من بعيد كجوهرة تعرضت لشعاع شفق اخترق مركزها وانعكس في كل الاتجاهات كنجمة ناعسة

تلفت حوله مستطلعا الحديقة التي يصعب على أعظم شعراء عالمه أن يصفها،بل سيكتفي بأن يجمد ويفتح عينيه وفمه مندهشا.

اقتربا من القصر الباهر بحيث تركتهما مجموعة من مرافقيهما لإعلام الأميرة بوصولهما وما هي إلا لحظات حتى فتحت البوابة وظهرت منها الأميرة وحاشيتها.

لاقتهما الأميرة بذراعين مفتوحتين وعينين تكادان أن تنطلقا من محجريهما لشدة فرحها ، ضمت شقيقتها بكل شوق وحنين الكون. تسمر في مكانه ينظر متأثرا بهذا المشهد فأحس بشيء لا يشعر به إلا من يقف على قمة جبل ويلفه الندى ، تملصت الأميرة من بين يدي شقيقتها منبهة إياها لوجوده وما أن عادت لوعيها حتى اقتربت منه مصافحة ومرحبة به بود يجعل المرء يسجد أمامه

اقتادتهما نحو القصر الذي بدا رحبا وكل شيء فيه كان لامعا مضيئا حيث يستطيع المرء القول بأن لا حاجة للإضاءة هنا.

أخذا قسطا من الراحة قدم لهما خلالها طعام فاخر ، شرحت الأميرة لشقيقتها حاكمة المرجان كل شيء عن طبيعة جولتهما الأمر الذي أنزل على روعها سكينة وهدوءا تبدى على محياها سرور واضح ، طلبت منهما الأميرة البقاء في ضيافتها فترة أطول إلا أن أميرته اعتذرت منها معللة أن جولتهما كبيرة والوقت قصير لذا يتوجب عليهما المغادرة حالا.

أصرت أميرة المرجان على مرافقتهما للأسباب ذاتها التي دفعت أميرة الإسفنج للقيام بذلك.

قال بينه وبين نفسه:

" تبا لهذا القانون الجائر الذي يفرق الأهل ويبعدهم عن بعضهم البعض "

بدأت جولتهما على حواضن المرجان حيث يربى ويتلقى هنا رعاية فائقة إلى أن يصبح قادرا على متابعة حياته بنفسه حيث ينقل إلى أماكن تكون قد جهزت مسبقا ويزرع فيها بحيث ينمو ويبني مستعمرة خاصة به ، شرحت لهما الأميرة كل شيء عن تلك المراحل بشكل واف. سألها :

- ما هي المخاطر التي يتعرض لها هذا الكائن؟

- أكبر المخاطر التي تتعرض لها إمارتنا هي غزو البشر الذين يعيثون فسادا وتخريبا في كل مكان تطأ فيه أقدامهم إرضاء لطمعهم وجشعهم لو أنهم طلبوا منا ما يريدون لأعطيناهم عن طيب خاطر لأن تعليمات مجلس الحكماء تنص على ذلك

- و كيف تدرؤون خطرهم ؟

- نقاومهم بكل ما أوتينا من قوة ونستعين عليهم بالحراس الجوالين الذين يتصدون لهم بشراسة خارج نطاق الإمارة لكن وللأسف أن البشر يملكون دهاء يمكنهم من خداع تلك المخلوقات والهرب والتسلل إلى داخل الإمارة وهنا تقع الكارثة.

- وهل هناك أخطار أخرى ؟

- نعم يوجد العديد من الكائنات تتغذى على المرجان الصغير لذا نقوم باحتضانه حتى يشتد عوده ويصبح قادرا على الدفاع عن نفسه بوسائله الذاتية

- وهل تقوم عاملاتكم بالعناية بها ومتابعتها كما يحدث في عالم الإسفنج ؟

- نعم إنها تقوم بعملها بمهارة عالية وحنو شديد لدرجة تحسب أنها تعتني بصغارها.وتقوم بذلك على مدار الساعة من مرحلة الحاضنة حتى تصبح كاملة النمو بحيث تجمع وترسل إلى قصر الملك

وبينما هم في غمرة حديثهم حدثت جلبة من حولهم أثارت انتباههم تلفتا نحو الأميرة متسائلين فأجابت قائلة:لقد وصلت قافلة المؤونة المرسلة من قصر الملك رافقاني لتشاهدا ذلك عن قرب اقتربا من البوابة حيث شاهدا عدة حيتان هائلة تحمل على ظهورها كميات كبيرة من المواد الضرورية لحياة الإمارة مما تنتجه الإمارات الأخرى.

راقبا كيف تقوم العاملات المتخصصات بنقل تلك المواد إلى قصر الأميرة حيث تجمع وتوزع بالتساوي وبالعدل على جميع كائنات الإمارة.

استمر العمل بنشاط واضح حتى أفرغت الحمولة.وبعد ذلك حملت الحيتان ما كان قد جمع من محصول كامل النمو بحيث غادرت بحراسة مشددة.

سحرا لرؤية ما حدث أمامهما الأمر الذي أثار فيهما مشاعر الرضا إذ كان كل كائن يعرف واجبه فيقوم به بكل حب لثقته بأن حقوقه مضمونة.

عادا إلى القصر وأخذا قسطا من الراحة قدمت لهما خلالها ضيافة من طيبات مآكلهم وبعدها غادرا القصر ، وما إن أصبحا خارج حدود الإمارة حتى أمسكته بكلتا يديها وبشغف تطلعت في وجهه مستشفة راحته النفسية التي انعكست على ملامحها ابتسامة ساحرة دفعته لضمها وسؤالها:

- إلى أين سنذهب الآن؟

- سنقصد إمارة اللؤلؤ.

- هناك أمر يشغلني منذ أن نزلت إلى عالمكم وكلي رجاء بأن تفسريه لي.

- ما الذي يشغلك إلى هذا الحد؟

- أريد أن أسألك عن جلالة الملك والدك وأرغب في معرفة كل شيء عن هذا الشخص المميز الذي يحتفظ بكل تفاصيل الجسد البشري حتى الآن.

- كنت سأقص عليك حكايته بالكامل لكني أجلت ذلك لوقت لاحق.

- ومتى يحين ذلك برأيك؟

- عندما ننتهي من جولتنا بحيث تكون قد كونت فكرة شاملة عن عالمنا بإيجابياته وسلبياته.عندها أكون قد أبرأت نفسي من كل مسؤولية تجاهك فيكون لك كل الحرية في اتخاذ القرار المناسب لك أنت بالذات.

- يعني ومما تقدم أنه لا يمكنك الآن إشباع فضولي.

- من قال ذلك أستطيع أن أقوم بذلك إن كانت تلك رغبتك.

- أرجو ذلك وأشكرك سلفا.

- بكل سرور ولا داعي للشكر وسأسرد عليك قصة والدي من بدايتها حتى الآن عل ذلك يخفف من عناء الطريق،كون المسافة التي تفصلنا عن إمارة اللؤلؤ شاسعة لأن اللؤلؤ لا ينمو ويترعرع إلا في أماكن خاصة توفر له البيئة الصالحة.

- تفضلي فكلي آذان صاغية.

- اسمع يا عزيزي هذه القصة بكل تفاصيلها الغريبة.

" كانت والدتي الأميرة هي من وقع عليها الاختيار لجلب شريك لحياتها وبالفعل أمضت فترة طويلة تتجول وتتنقل من شاطئ إلى آخر يحدوها الأمل بأن تحظى بمرادها ولكن كل جهودها ذهبت سدى ، تملكها القنوط لدرجة أنها قررت العودة إلى القصر والطلب من الملك ومجلس الحكماء إعفاءها من الأمر وتكليف إحدى شقيقاتها بالمهمة لكنها تريثت قليلا مفضلة الابتعاد عن القصر.

وبينما كانت تجلس منزوية على صخرة ممسكة رأسها بكلتا يديها ومطرقة والهم يكاد يفتك بها اقترب منها دلفين لطيف متوددا ، دار حولها عدة دورات وقام بحركات دلت بمعناها أن هذا الكائن يريد أن يشارك الأميرة وحدتها ليسري عنها ويسليها كي يبعدها عن حالة اليأس هذه .

التفتت نحوه مراقبة حركاته التي استقرأت منها أنه يريد مبادلتها الحديث حول شيء ما.

أشارت له بأن يقترب وفي الحال اندفع نحوها فاتحا فمه تعبيرا عن سروره لموافقتها على التحدث معه وعندما مثل بين يديها سألته:

- ما بالك لم تتمحك بي ألا تراني تعيسة ولست مستعدة لمحاورة ومجاملة أي كائن في الوقت الحاضر.

- سيدتي أرجو أن يتسع صدرك وتسمحي لي أن أسرد عليك ما حدث معي منذ فترة عسى أن يهمك الأمر

- تكلم ما الذي حدث معك لكن باختصار شديد

- حسنا،بينما كنت أقوم بجولة كالمعتاد صادفت سفينة ركاب كبيرة الحجم ، رافقتها مستعرضا مهاراتي محاولا تسلية الركاب وبنفس الوقت أحصل على طعامي مما يلقيه المسافرون لي وبينما أنا في غمرة ذلك سمعت دوي انفجار تردد صداه لمسافات بعيدة غطست مستطلعا فوجدت أن هذا الانفجار حدث في قعر السفينة مسفرا عن فجوة واسعة أستطيع أن أعبرها بسهولة

أخذت السفينة تترنح لفترة ومن ثم جنحت على جانبها وبدأ الماء البحر بابتلاعها شيئا فشيئا ، تعالت الأصوات المستنجدة وأخذت القوارب الصغيرة بنقل الركاب ومن لم يحالفه الحظ ألقى بنفسه في الماء مسلما مصيره للقدر

نجا من نجا وغرق الباقون رغم أني بذلت أقصى ما أملك من جهد لمساعدة هؤلاء المنكوبين ولكن القدرة لله وحده.

- أكمل ما الذي حدث بعد ذلك ؟

- كنت مسترخيا على صفحة الماء أستجمع قواي وإذا بي أسمع أنينا خافتا كالذي يصدره المشرف على الموت رصدت مصدر الصوت بحيث حددت موقعه واتجهت إلى هناك علني أستطيع تقديم العون لهذا المستغيث ، وبالفعل شاهدت شابا يتعلق بقطعة خشب تطفو به متأرجحة بين الأمواج ، وعندما وصلت إليه وجدته بحالة يرثى لها إذ كان لا يكاد يستطيع التنفس من شدة الإرهاق.نزلت تحته وحملته على ظهري واتجهت به نحو جزيرة النخيل حيث ألقيت به على شاطئ تلك الجزيرة وتركته لمصيره لأن هذا أقصى ما أستطيع فعله له.

- هل تركته هناك؟

- كلا لم أتركه بل بقيت فترة من الزمن أتجول في المنطقة وأراقبه وكلي أمل أن يسترد وعيه ويستجمع قواه. بقي على حاله هذا حتى اليوم التالي .

وهنا سوت الأميرة جلستها وأنزلت يديها وأسندت ذقنها على باطن كفها وحثت الدلفين على متابعة حكايته التي أثارت اهتمامها كما تبدى على معالم وجهها التي أخذت تتغير تبعا لمجريات هذه القصة.قالت له عندما توقف عن الكلام:

- أكمل لم سكت ما الذي حدث بعد ذلك؟

- في اليوم التالي قصدت الجزيرة مستطلعا ما حدث لهذا الإنسان وعندما وصلت إلى هناك وجدته على حاله ولكن بعد قليل بدأ يتململ في مكانه محاولا رفع جذعه مستندا على يديه اللتين كانتا من الضعف والوهن أعجز من أن تستطيعا حمله فهوى مسترخيا عندها استبشرت خيرا بأن هذا الإنسان قد كتبت له بقية من حياة ، ظللت فترة ليست بالقصيرة أراقبه وهو مستلق على ظهره ويقوم بحركات عشوائية من يديه لامسا جسده من رأسه حتى ساقيه متأكدا أنه ما زال على قيد الحياة.

-هيه.ما الذي حدث بعد ذلك قالتها بتحفز .

- أعاد محاولته السابقة عدة مرات حتى حالفه الحظ بأن استطاع وبجهد كبير أن يجلس مستندا على يديه اللتين انغرستا بالرمال المبللة .

تطلع حوله وفي كل الاتجاهات زائغ البصر ورغم كل ما قمت به من حركات لم أوفق في لفت انتباهه ، بقي على هذه الحال مركزا نظره نحو البحر وكأن غريزته أوحت له بأن الخلاص يأتي من هذه الجهة ، اقتربت أكثر آملا أن أثير انتباهه وبالفعل تطلع نحوي.

ظننت أنه رآني عندها قمت بحركات علني أقدم له ولو بصيصا من أمل دعما لنفسيته المنهارة ليتمكن من استجماع ولملمة قواه ليقدر على مواجهة ما تخبئه له الأيام .

- وهل وفقت في ذلك ؟

- نعم لقد شعرت بذلك حيث رأيته يقوم معتمدا على يديه وساقيه. انتصب بعجز.ترنح قليلا لكنه تمالك نفسه إذ خطا بضع خطوات ومن ثم ارتمى على الرمال طالبا الراحة،وبعد قليل قام وانتصب من جديد وتجول ضمن دائرة صغيرة متطلعا حوله مستكشفا المكان ، عندها تأكدت من أن عملي قد أثمر وأتى أكله سعدت بهذه النتيجة إذ أن ما قمت به لم يذهب سدى.

- وهل بقي هذا الإنسان هناك ؟

- نعم لا يزال هناك وقد تأقلم مع وضعه حيث بنى كوخا على الشاطئ وصنع عدة صيد وكذلك قام برفع راية من خرق جمعها عن الشاطئ آملا أن تلفت انتباه السفن العابرة فتنقذه .

- وماذا فعل غير ذلك ؟

- قام بإشعال نار حرص على أن تدوم عسى أن تقوم بما لم تستطع فعله الراية.

- فعلا إنه شخص غريب فمن يمتلك تلك الصفات لا بد أن يكون من ذوي الهمة والإرادة القوية.لقد أثار فضولي وحفزني على لقائه

- أنا تحت أمر سموك أستطيع مرافقتك متى أردت ذلك

- غدا صباحا ننطلق بحيث أكون قد استأذنت والدي وحصلت على موافقته .
- أين الملتقى ؟
- هنا في هذا المكان .
- حسنا وستجديننى بانتظارك
- جيد إلى اللقاء، قالتها وهي تغادر و علائم الرضا ترتسم على محياها ، وفي اليوم الثاني انطلقا قاصدين جزيرة النخيل ، وأثناء سيرهما تبادلا أحاديث عدة إذ قام الدلفين بسرد حكايات كان هو بطلها وكانت بمعظمها شيقة كون الدلفين كائنا حشريا،و لحشريته هذه فائدة تعود عليه وعلى من يصادفه ، استمرا هكذا حتى لاحت لهما جزيرة النخيل التي بدت من بعيد كسجادة خضراء فرشت على أرض رمادية ، اقتربا من الشاطئ بحيث صار بإمكانهما رؤية كل شيء بوضوح

لبثا فترة يراقبان آثار هذا الإنسان الغريب التي تدل على صفات شخصيته الفذة إذ كان الكوخ قد بني من جذوع أشجار النخيل وسقفه من سعفه وكذلك هذا الزورق الصغير المصنوع من جذع نخلة ضخمة قام بحفره وتجويفه بنفسه وكذلك ما شوهد من أدوات صيد يدوية يستخدمها في البر والبحر .

تركت الدلفين واقتربت من الشاطئ حتى لامست رمله و اتكأت على ذراعها بينما بقي نصف جسدها مغمورا بالماء.

خرج الرجل من كوخه عاري الصدر مرتديا سروالا قصيرا وكان حافي القدمين متأبطا عدة صيده متجها نحو قاربه الملقى على رمل الشاطئ ، ولما

اقترب منها أكثر بانت ملامحه بشكل أوضح ، كان شابا ممشوق القامة أشقر الشعر ذهبي البشرة رغم ما تركته أشعة الشمس ومياه البحر المالحة عليه من آثار، قوي الشكيمة ذا نظرة ثاقبة متحدية.

أثارتها تلك الصفات بحيث بدأ صدرها يعلو ويهبط بسرعة، وكذلك فؤادها الذي سمعت ضرباته بأذنها.كادت أن تفقد وعيها إلا أنها تمالكت نفسها بحيث قامت بحركات أثارت انتباهه.

دهش لمرآها وركز نظره عليها بقلق واضح إذ كان قد فقد الأمل في رؤية كائن بشري على هذه الجزيرة.

تقدم نحوها بخطوات مترددة مشوبة بقلق خاص لا يحس به إلا من مر بتجربته.

بادرته بتحية ودود كسرا لحاجز الرهبة بينهما،إذ لاحظت قلقه الذي انعكس بشكل واضح على معالم وجهه وعلى نظراته. وأيضا أخذت حركات قدميه بالتباطؤ.

رد تحيتها بصوت خافت وقام بحركة من يده تشبه إلى حد كبير التحية العسكرية المتبعة في كل مكان.

ابتسمت له بدلال ومدت له يديها محاولة كسب وده و لتخفيف توتره،وبالفعل انبسطت أساريره وزال تدريجيا توتره بحيث استعادت خطاه ثباتها السابق.

صافحها وجلس بالقرب منها مرحبا بها على أرض جزيرته بينما كان الدلفين يراقب الأحداث من بعيد.

تحاورا لفترة طويلة أفرغ كل منهما خلالها ما اعتمر صدره من هواجس بحيث تلاشت الحواجز النفسية فيما بينهما. اتسمت أحاديثهما بالمودة وأثناء ذلك قام الدلفين بحركات رافقها بأصوات منبها إياها بأن الوقت قد مر وأن أوان عودتهما قد أزف.

أشارت له بالموافقة ومن ثم ودعت رجلها وغادرت يرافقها الدلفين على أن تعود في اليوم التالي لإتمام ما بدأا به. "

- وهل عادت؟

- " نعم عادت بأبهى طلة وعندما وصلت وجدته بانتظارها وكان قد بدل حلته وجمل مظهره قدر الإمكان استقبلها بشوق من غابت حبيبته عنه دهرا.جثا على ركبتيه وضمها معانقا باثا مشاعره فيها كأشعة تخترق جسما شفافا.

ارتجفت بين يديه وضمته بيديها وهي ترنو إلى وجهه بنظرة تنقل كل ما يجيش في صدرها من أحاسيس.

استمرا هكذا فترة طويلة انفرط بعدها العقد وجلسا متلاصقين والماء يغمر نصف جسديهما.

استمرت هذه اللقاءات عدة أيام متتالية إلى أن حان موعد المصارحة بحيث كشفت له كل شيء "

- بالتأكيد وفقت في ذلك.

- نعم و إلا فكيف أصبح ملكا إذا؟

- يا إلهي كم لهذه الحكاية من وقع في النفس.

فاجأتهما أثناء سيرهما مجموعة من الدلافين تقيم طقس زواج. راقباها قليلا إلى أن أصبحا أمام بوابة إمارة اللؤلؤ التي انفتحت على مصراعيها حيث قدمت لهما حوريات الحراسة التحية بعد أن اصطفت على جانبي البوابة.ومن ثم تمت مرافقتهما في الطريق إلى قصر الأميرة الذي يعجز اللسان عن وصفه.

بدا وكأنه شيد من لؤلؤ حشر في جدائل من المرجان،وكذلك كانت حدائقه التي لا تقل بهاء وسحرا عنه بحيث يمكن للمرء أن يبقى دهرا يراقب هذا الجمال دون أن يمل

استقبلتهما الأميرة بحفاوة كبيرة واقتادتهما إلى القصر حيث نالا قسطا من الراحة.

استمتعت الشقيقتان بهذا اللقاء غير المنتظر،على الأقل من قبل أميرة القصر.وبعدها قاما بجولتهما بمرافقة الأميرة التي بينت لهما كل ما خفي عنهما فيما يخص هذا العالم البديع بحيث تمكنا من أن يلمسا كل شيء ويرياه بأم عينيهما،الأمر الذي أدخل الدهشة لنفسيهما لدقة وتعقيد مراحل تكون هذا الكائن الثمين والحساس،كونه يتكون وينمو حتى مرحلة الكمال التام في جوف أصداف توضع بشكل مدروس في قاع المحيط وتطبق عليه حراسة مشددة لأنه من أغلى منتجات البحر.لذلك كان ومازال هدفا للغزاة منذ قديم الأزل.

- لذلك يجب أن تحاط هذه الإمارة بحراسة مشددة للغاية أليس كذلك؟

- نعم نحن نطبق ذلك فنظام الحراسة عندنا صارم جدا وسري دائم وعلى مدار الساعة.

ـ كيف ذلك ونحن لم نشاهد أي مظهر من تلك المظاهر؟

- نحن نتبع خطة مغايرة لخطط الإمارات الأخرى في الحراسة. إذ يكون حراسنا متخفيين في أماكن محددة لا يظهرون إلا إذا تعرضنا للخطر بحيث يكون تحركهم سريعا ومباغتا لنضمن عنصر المفاجأة.

- وهل تنجحون في ذلك دائما؟

- نعم نحن ننجح في معظم الأحيان،إلا أننا ولسوء الحظ نتعرض للغزو من قبل البشر الطامعين.وهؤلاء يتمتعون بذكاء وحنكة ودهاء فيربكون حراسنا ويتسللون وعندها تقع الكارثة.

- وكيف تعوضون تلك الخسائر؟

- نتابع حياتنا كالمعتاد إذ نعيد زرع كائنات جديدة ونبذل جهودا أكبر لتنشئتها.

- وهل ترسلون منتجاتكم إلى قصر الملك كباقي الإمارات ؟

- نعم نحن نخضع لنفس النظام .

وبينما كانوا يتبادلون الأحاديث في هذا المكان الرائع حدثت تحركات غريبة،وظهرت أمامهم كائنات لم يكونوا قد رأوها من قبل عرف من خلال زيها والسلاح الذي تحمله أنهم الحراس السريون والذين أوفدوا من قبلهم من يبلغ الأميرة بأن الإمارة تتعرض الآن لغزو بني البشر .

تحركت تلك المجموعات كلها في اتجاه محدد عرف منه أن الهجوم يتم من هناك بينما استنفرت العاملات في أماكن عملها .

طلب من الأميرتين السماح له بالمشاركة في صد هذا الهجوم .

رفضت أميرة اللؤلؤ وساندتها شقيقتها،لكنه أصر على موقفه بل طلب سلاحا مما يستعمل عندهم ونتيجة لعناده وإلحاحه وافقت الأميرتان على مضض إذ أمرت أميرة اللؤلؤ الحراس أن يعطوه سلاحا وكان عبارة عن عظم كبير صلب له هيئة سيف مقوس .

أخذه واتجه نحو مكان الخطر وكله أمل أن يتمكن من المساهمة في صد هذا العدوان .

سبح بأقصى سرعة محاولا ملاقاة الغزاة في الطريق قبل دخولهم الإمارة وبالفعل تمكن من ذلك وكان عددهم كبيرا أحصى منهم عشرة .

وما إن رأوه حتى قاموا بمحاصرته،ورغم مقاومته الشرسة أخذوا يضيقون الحصار عليه.فزاد من شراسته ولكن كما يقال الكثرة تغلب الشجاعة إذ تلقى ضربة بجسم صلب على مؤخرة رأسه من معتد تربص به وكانت من القوة لدرجة جعلته يترنح ويصرخ بأعلى صوته ويهوي .

أفاق وإذا به ملقى على الأرض والتلفاز يعرض مسلسلا محليا.

## في مجاهل الغابة

قام مع بعض من زملاءه بجولة اطلاعية على معالم العاصمة السياحية بحيث كانت نقطة البداية من الجامع الأموي. فاستطلعوا معالمه الآسرة حيث الهندسة المعمارية الرائعة والزخارف والنقوش البديعة التي تدل على مهارة المسلمين في هذه المجالات ، ومن ثم انتقلوا إلى القلعة القديمة واستمعوا لشرح مفصل عنها من قبل المشرف ، وبعدها زاروا أبواب دمشق القديمة كباب توما وباب شرقي. وفي طريقهم زاروا أضرحة الصحابة وآل بيت رسول الله . وبعد ذلك قصدوا المتحف الحربي الكائن في قلب العاصمة ،ثم انتقلوا إلى سوق المهن اليدوية مطلعين على مهارة صناعنا وعراقة صناعتنا تلك.

وبينما كانوا يتجولون في المنطقة المحيطة والتي تعج بالمكتبات ومكاتب السفر والسياحة وغيرها لفت انتباههم لافتة قماشية بعرض الشارع. وكان فحواها إعلاناً عن قيام شركة سياحية معروفة بتنظيم رحلة سفاري إلى إفريقيا، تلك القارة التي شغلت العالم واستغلت وما تزال من قبل مصاصي دماء الشعوب والذين ما يزال استغلالهم قائما في بعض مناطقها حتى الآن.

أثار الإعلان مجموعة الأصدقاء الذين قصدوا حديقة عامة مصطحبين معهم بضع سندوتشات ومشروباً غازياً. احتلوا مقعدين متقابلين يقعان في زاوية الحديقة طلبا للهدوء.

انبرى أحدهم وكان لقبه المتداول بينهم هو "البيه" كما يلفظها المصريون، كونه ينحدر من وسط ميسور جدا متكلما بإسهاب عن تلك المناطق التي أشار إليها الإعلان ، إذ تحدث عن طبيعته المتنوعة وبيئاتها المتعددة والنادرة حيوانية كانت أم نباتية.

فقص بشكل مستفيض تفاصيل رحلة قام بها مع عائلته إلى تلك المناطق مبرزا ذاك التنوع البيئي والحضاري الهائل و خصوصا ما ذكره عن تلك المحميات المنتشرة بشكل واسع هناك.

وبعد تلك الجلسة التي دامت طيلة فترة الظهيرة إذ استمتعوا بشمس ذاك النهار الربيعي من أيام نيسان الخير، تفرق الأصدقاء كل باتجاه بيته بعد أن اتفقوا على اللقاء غدا .

اتجه نحو موقف الحافلات الصغيرة التي تنقل الركاب من قلب العاصمة إلى الضواحي و بالعكس .

استقل حافلته وتعمد أن يجلس قرب النافذة ليتسنى له مراقبة كل من يمر أمامه وهو في طريقه إلى بيته .

ابتاع حاجاته من بقالية قريبة من مسكنه وأسرع لإعداد وتجهيز الطعام قبل وصول والدته .

جهز كل شيء و بدأ بإعداد المائدة بروية و أثناء ذلك حضرت أمه المبتسمة دائما وكأن التعب والشقاء أصبحا عادة تأقلمت معها.

دخل غرفته بعد أن أنهى أعماله المنزلية و قصد مكتبته المتواضعة باحثا عن مجلة علمية كان قد طالع فيها تحقيقا مصورا عن محميات كينيا .

استلقى على أريكته و بدأ بتقليب و قراءة ذاك التحقيق مستمتعا بتلك الصور المرفقة التي تدل على حرفية عالية وشجاعة فائقة لدى ملتقطها لما تحمله تلك الأمكنة من خطورة .

تابع قراءته شاردا مستذكرا ما كان قد حدده منظمو تلك الرحلة من شروط يجب على الراغبين بالمشاركة القيام بها. وهنا تخيل نفسه يستوفي تلك الشروط حيث أمن الوثائق المطلوبة وقدمها لإدارة الشركة وحصل على تذكرة السفر .....

وفـي الموعـد المحـدد للـسفر قامـت الـشركة بنقـل المسافرين إلى أرض المطار بحافلاتها الخاصة ثم أقلتهم الطائرة إلى مطار القاهرة ومنه إلى مطـار أسوان ، ومن ثم إلـى مطـار عينتيبـة فـي أوغندا ومن بعدها إلـى مطـار نيروبـي فـي كينيـا ، التـي وصـلوها مساء اليوم التـالي. إذ كانوا يمضون بضع ساعات في كل مطـار يحطـون فيـه رحالهم .

وزعوا علـى فنـادق العاصـمة الكينيـة البديعـة . وبعد أن أخـذ قـسطا مـن الراحـة غـادر الفنـدق ليقـوم بجولـة اطلاعيـة لمعـالم تلـك المدينـة الجميلـة والتعـرف علـى سكانها الـذين لمس فيهم الطيبـة وفـي وجـوههم الـسمراء الداكنة الرقة والوداعة والابتسامة الدائمة .

فـي اليـوم التـالي أقلـتهم حـافلات واتجهـت بهـم نحـو المحميات الواقعة خارج العاصمة .

وبعـد وصـولهم إلـى منطقـة محـصنة بأسـوار عاليـة عـرّف عنهـا أنهـا مقـر إدارة المحميـات ، قـسموا إلـى مجموعـات اسـتقلت سـيارات جيـب مكـشوفة محـصنة الجوانب بشباك معدنية وقصدت كل منها محمية معينة .

عبر الموكب دروبا ترابية عبدتها عجلات السيارات وأقدام الزوار و كانت الأعشاب المتنوعة تحيط بها .

وبعد ذلك دخل الموكب غابة كثيفة الأشجار ابتلعتهم كما يبتلع الغول طعامه ، وكانت من الكثافة بحيث تحول المكان إلى كهف كبير مظلم، إلا أن تلك الدروب كانت واضحة كوضوح خط تركته طبشورة بيضاء على رقعة غامقة اللون .

استمر سيرهم حتى وصلوا إلى منطقة أسوارها عالية تضم عدة مبان يتوسطها مبنى كبير كان مقر إدارة المحمية ، وإلى جانبه شيد فندق يبدو ومن النظرة الأولى أنه مقر إقامة مريحة .

نزل الجميع وقصدوا المبنى الكبير الذي كان مقرا لإدارة المحمية ، حيث قام مدير المحمية بشرح مفصل عن محتوياتها وعن مخطط الرحلة محددا واجبات الزوار التي عليهم أن يلتزموا بها تجنبا للمخاطر الكثيرة في هذه الأماكن ، رغم إشادته بالعاملين والمشرفين والحراس لبراعتهم ومهارتهم .الأمر الذي ترك أثره الحسن في نفوس السواح الذين قدمت لهم الضيافة كتقليد متبع . وبعدها قسموا إلى مجموعات يشرف على كل منها حارسان مسلحان ودليل يتولى الشرح والرد على الاستفسارات

استقل السيارة رقم (١٣) رغم تشاؤمه من هذا الرقم كظم غيظه محاولا إظهار الرضا وخصوصا أمام السيدات اللاتي ضمتهم المجموعة ، وكن ثلاثاً إحداهن عشرينية سمراء البشرة حسنة الملامح ذات وجه مستدير عيناها واسعتان وفمها دقيق تربط منديلا أصفر حول عنقها .

نقل نظره بين وجوه مرافقيه واستقرأ التوتر والقلق المسيطر عليهم ، رغم محاولاتهم إظهار التماسك . ومن ثم عاد وركز نظره على تلك الفتاة التي بادلته نظرات قلقة في البداية بدأت تفتر رويدا رويدا مع مرور الوقت متبادلين ابتسامات كلما سمحت الفرصة لهما .

اجتازت السيارات الغابة واتجهت نحو السهوب . وبناء على تعليمات الدليل اتخذ كل منهم وضعية المراقب حيث استندوا إلى سور السيارة وكل منهم أمسك بمنظاره مراقبا ومستطلعا كل ما يمر أمامه . استمرت رحلتهم هذه حتى المساء. ومن ثم عادوا إلى الفندق حيث خصص لكل منهم غرفة رغم أنها صغيرة الحجم إلا أنها كانت مريحة ومجهزة بأشياء تساعد النزيل على الاختلاء بنفسه وكتابة مذكراته.

وفي اليوم التالي أيقظ الأدلاء مجموعاتهم قبل شروق الشمس لتمكينهم من الوقوف على مشهد شروق الشمس البديع في قلب هذه السهوب . وكذلك لمشاهدة الحيوانات العائدة إلى أوكارها بعد رحلة صيد ليلي شاق.

كان مشهدا مذهلا إذ تبزغ الشمس من جديد بعد سبات ليلة كاملة إذ لم يشتد الحر بعد . بينما بدت السهوب الفسيحة تتمطى لتعب نفسا عميقاً ، أما الطيور فقد رفرفت مغادرة أعشاشها مغردة بأعذب الألحان ساعية لرزقها ، وكذلك الحيوانات بجميع أنواعها التي استفاقت وغادرت منتشرة باحثة عن طرائدها بحيث بدا كل شيء يذكر بأن الحياة تعود من جديد.

اقترب أكثر من الفتاة وكان تقصد أن تكون جلسته بالقرب منها مستطلعا رأيها بما شاهدوه.

ردت والابتسامة تعلو شفتيها :

- " سبحان منسق الألوان ومنظم الأكوان وخالق الإنسان والحيوان "

أعجب لردها هذا وأثنى عليه ومن وقتها تلازما حتى نهاية الرحلة.

مرت بالقرب منهم زرافات وديعة مختالة بمشيتها متباهية بهيئتها وألوانها . راقبتهم بحذر وقصدت شجيرات ليست ببعيدة لتناول طعامها . وكذلك شوهد من بعيد قطيع من الغزلان يحث السير قاصدا بحيرة واسعة تكونت من مياه الأمطار الموسمية.

وبعد أن اعتلت الشمس كبد السماء اعتلت النسور العملاقة متن الفضاء فاردة أجنحتها قائمة بحركات دورانية متحينة الفرصة للانقضاض على فريسة قاطعها الحظ للأبد.

تابع الموكب السير إلى المنطقة (أ) التي تتخذ منها الفيلة مرتعا لها حسب ما قدمه الدليل اقترب الموكب أكثر من قطيع الفيلة التي تطلعت نحوهم بهدوء لفترة ومن ثم تابعت سيرها متجاهلة وجودهم ملتهمة الأعشاب الطرية التي تعترض طريقها وأثناء ذلك التقطت الصور التذكارية لتلك المشاهد الغريبة.

أكثر ما شد انتباه الفتاة التي لكزته بكوعها هو مشهد فيل صغير جداً يسير وسط مجموعة من فيلة ضخمة تحنو عليه حنو الأم على طفلها.

انتبه لهم الدليل فأجاب مفسرا:هذا فيل ولد حديثا وتلك الفيلة الكبيرة هي أمه وشقيقاته وعماته وخالاته إذ تشترك كل إناث العائلة في تربيته ورعايته حتى يشتد عوده ويستطيع الاعتماد على نفسه.

تـابع الموكـب الـسير بعيـدا فـي عمـق هـذا المكـان . وفجـأة توقفـت الـسيارات . تطلـع الجميـع نحـو الـدليل مستفسرين عن الأمر.

قال لهم:سأريكم الآن مشهدا سيبقى في ذاكرتكم ما حييتم . انظـروا، وأشـار بيـده نحـو مجموعـة مـن الفيلـة تجمعت بشكل دائري وكانـت ترفـع رؤوسـها وخراطيمهـا عاليا مصدرة أصواتا غريبة ومن ثم تخفضها مكررة هذه الحركـة عـدة مـرات . وبعـدها توقفـت وابتعـدت مغـادرة المكـان يقودهـا فيل كبير مخلفة وراءها جثة فيل ممددة على الأرض.

استفسروا عن ذلك من الدليل الذي قال:مـا رأيتمـوه كان طقس جنازة تقوم به العائلة عندما يموت أحد أفرادها . وذاك الفيـل الـضخم الـذي قـاد المجموعـة علـى الأغلـب يكون أكبر الإناث سنا.

سـألته الفتـاة:لـم كانـت ترفـع تلـك الأفيـال رؤوسـها وتخفضها مصدرة تلك الأصوات الغريبة؟

- إنها تندب وتبكي . ولـو تمكنـا مـن الاقتـراب أكثـر لرأيتم الدموع تنهمر من عيونها.

هز الجميع رؤوسهم تأثرا وبنفس الوقت إعجابا بهذه الألفة والتعاضد القائم بين أفراد العائلة الواحدة في جميع الظروف من الولادة حتى الموت.

تـابعوا سـيرهم حتـى وصـلوا إلـى منطقـة أسـماها المنطقة (( ب )) التي بدت مكشوفة كون أشجارها قليلة وعشبها كثيف وطويل .

حذر الدليل المجموعة من أن هذه المنطقة مرتع للحيوانات المفترسة والتي في الغالب تكون كامنة متربصة بفرائسها بين الأعشاب . وأشار بيده قائلا :انظروا هناك . التفت الجميع وشاهدوا مجموعة من الكلاب البرية بآذانها الكبيرة الدائرية تطارد مجموعة غزلان وتحاول محاصرة بعضها لتعزله عن البقية . استمرت المطاردة إلى أن تمكنت من الإمساك بغزال و افترسته . وبعد أن نالت كفايتها غادرت المكان عائدة إلى مواقعها تاركة قطيع الغزلان بحال سبيله .

تأثر الجميع للمصير الذي آل إليه هذا الغزال المسكين ولكنهم بنفس الوقت ذهلوا بهذا النظام في الطبيعة إذ تخلق كائنات تكون غذاء لأخرى دون أن يفني أي منها الثاني .

وبعد أن تعمقوا أكثر في هذا القطاع استوقفتهم مطاردة قام بها ثلاثة فهود لثور كبير أثار الجميع كفاحه ومثابرته لينجوا بنفسه. وكذلك إصرار تلك الفهود التي كانت لها الغلبة في النهاية .

كيف لا فهم ثلاثة وهو واحد . والغلبة تكون للأكثر عددا والأوثق اتحادا إذ قاموا بجره إلى مقاطعتهم ....

وعند المساء عاد الموكب إلى المقر حيث اختلى كل بنفسه في غرفته بعد حمام ساخن مسترجعا أحداث يوم مثير .

وفي فجر اليوم التالي انطلق الموكب في جولة على القطاعات الأخرى حيث شاهد الجميع بأم أعينهم أدق تفاصيل هذا العالم المتهم بالهمجية و التسلط . إذ أطلق على بعض القوانين والتشريعات السيئة التي يسنها بنو البشر أسماء كثيرة منها شريعة الغاب ، حيث القوي يأكل الضعيف وينسحب هذا المفهوم على أمور عدة .

ولكن أكثر ما أثر وحز في نفسه هو رؤيته للهجمات التي قامت بها تلك الحيوانات المسماة مفترسة على أخرى أقل منها قوة وأضعف في كثير من الأحيان ، وإن كانت الضحية أكبر حجما وقوّة في بعض الأوقات . لأنها وعلى الأغلب تكون منعزلة أو منفردة لذلك تتحد عليها مجموعة وتفترسها بينما لو أنها بقيت ضمن قطيعها لما استطاعت تلك الكواسر من النيل منها وبنفس الوقت لو لم تتحد تلك الوحوش لما استطاع أي منها افتراس هكذا حيوان كبير وقوي . وهذا ينسحب أيضا على كل الكائنات الحية ومنها الإنسان كما أن ما قامت به تلك الكواسر إذ اكتفت بفريسة واحدة بحيث نالت كفايتها وتركت بقية القطيع يمر بسلام ، هذا ما لا يحدث في عالمنا عالم الإنسان إذ تباد شعوبا لإرضاء شخص واحد أو مجموعة أشخاص.

وإذا حجّم الأمر وقزّم يقوم الصياد بقتل عدد يزيد عن حاجته بكثير مما يؤدي إلى انقراض أنواع منها مع مرور الوقت.

شعر بشيء يطبق على صدره لدرجة أصبح تنفسه عسيرا ، لذا قام وفتح النافذة مستنشقا هواء نقيا ولكن دون فائدة . الأمر الذي دفعه للبحث عن رفيق يستطيع أن يبوح له بما يعتمل في صدره من كرب وضيق لم يتراء له سوى صورة رفيقته الشابة ، عندها قرر أن يقصدها عسى أن يلقى عندها راحته.

تردد قليلا وهو يسير في الممر الموصل بين غرفتيهما إلا أنه حسم أمره أخيرا وطرق على بابها بضع طرقات فأجابت مستفسرة من الطارق . رد عليها معرفا بنفسه ومبديا رغبته بمحادثتها إن لم يكن لديها مانع . أجابته:

- نعم بكل سرور ولكن امنحني بعض الوقت.

ـ إذا سأنتظرك في بهو الفندق.

- حسنا سألحق بك حالا.

وما هي إلا لحظات حتى ظهرت كأميرة تطل على رعيتها أثناء هبوطها الدرج.

قام مستقبلا إياها وقادها إلى ركن هادئ من البهو حيث قالت:

- خيرا إن شاء الله ما الذي يشغل بالك؟

ـ أولا أعتذر عن إزعاجك ولكن لم أجد أمامي سواك أبث له همومي وهواجسي.

ـ شكرا على ثقتك بي ، لكن قل لي ما الأمر؟

ـ أفرغ كل ما ضيق على صدره من هموم وأفكار معللا ومفسرا مفاهيمه حول ذلك.

هزت رأسها إعجابا برهافة حسه وإنسانيته النقية ، وقالت نحن بشر خلقنا الله هكذا إذ حمل كل منا أحاسيس ومشاعر نطورها تبعا لمجريات حياتنا ومفاهيمنا الذاتية والمكتسبة ، لذلك نجد من طور نفسه فسما وترقى ، بينما هناك من جمد مشاعره وأحاسيسه مقزما نفسه . لذا نجده قد هوى إلى الحضيض وخسر إنسانيته إذ قام بأفعال وتصرفات تربأ الحيوانات عن فعلها لأنه في عالم الحيوان يسود قانون البقاء والحفاظ على النوع . إذ لا نجد أن نوعا قد أفناه نوع آخر مهما كانت قوة النوع الثاني عاتية ، أما ما يقوم به بعض ممن سمو بشرا فشيء يندى له الجبين بحيث قامت دول وأسست أمما على أنقاض وجثث شعب أبيد عن بكرة أبيه ومن بقي منه على قيد الحياة عومل كإنسان له ترتيب متأخر جدا عندهم لذا أقدر حساسيتك هذه وأعذر اضطرابك لأن ما تحس به أحسست به تماما مثلك.

أمسك بيدها بحنو من أفضى بسر لأمه، وهزها قليلا معبرا عن امتنانه لأنها أوسعت له صدرها وسمعته حتى النهاية ، الأمر الذي شجعه لأن يطلب منها شيئا آخر.

- هل لي أن أطلب منك طلبا آخر وأرجو أن لا ترفضيه.

- ما هو وسألبي إن استطعت

- هل ترافقينني في نزهة ليلية خارج نطاق هذا المكان؟

- عندي نفس الرغبة ولكن هل يسمح لنا بذلك؟

- لا عليك دعي الأمر لي وانتظري مني إشارة.

- حسنا سأذهب وأجهز نفسي.

وبعد قليل أشار لها بمصباح الجيب . نزلت على الفور وتسللت مستغفلة العاملين في الفندق . التقيا في الخارج وقصدا الطريق وعبر فتحة في السور أصبحا خارج نطاق الفندق حيث كانت تقف هناك سيارة جيب محركها يعمل بينما مصابيحها كانت مطفأة فاستقلاها وغادرا بسرعة وبعد قليل سألته:

- كيف حصلت على هذه السيارة؟

- قمت برشوة السائق بعد أن قطعت له وعدا أن أعود قبل أن يستيقظ من في الفندق.

- ألم نخالف النظام والتعليمات بذلك؟

- نعم ولكن سنعود قبل أن يشعر بغيابنا أحد.

- آمل ذلك وقالتها بقلق.

سلكا الدرب المؤدي إلى المنطقة (أ) وبعد أن اجتازاها دخلا المنطقة(ب)وتجاوزا معظمها وصولا إلى مكان مرتفع نمت حوله دغلة أشجارها عالية.

دخلا الدغل لمسافة ثم توقف وأطفأ المحرك والتفت نحوها قائلا : هل تجيدين قيادة السيارة ؟

- نعم.

- إذا سأترك المفاتيح بالسيارة وفي حال حدوث أي طارئ استقلي السيارة وغادري المكان فورا وأنا سأتدبر أمري.

- كيف ذلك وهل تعتقد أني سأقبل؟ أتينا معاً وسنعود أو نموت معا.

أمسك خدها بيده وربت على صفحة وجهها مستحسنا.

غادرا السيارة وسارا على ضوء مصابيح الجيب وكان يتأبط بندقية استعارها من السائق حتى وصلا إلى القرب من صخرة متوسطة الحجم تسلقاها وجلسا فوقها متلاصقين . أمسك بيدها مداعبا أصابعها محاولا تهدئة روعها ليمكنها من الاستمتاع بصفاء ليل إفريقيا الساحر حيث القمر الذي بدا ككرة صفراء وهو يسبح فوق الأرض ناثرا أشعته المائلة للزرقة على السهب الواسع وكذلك ما كان يتردد من أصداء أصوات لحشرات ليلية تصر هناك ويتخلل هذا السكون زعقة طائر ليلي هنا ونقيق ضفدع من مكان آخر . وكذلك تلك الخشخشة التي تتركها خلفها الزواحف عند مرورها فوق أوراق يابسة.

سلب لبهما هذا السحر الرائع لدرجة أطلق كل منهما لخياله العنان بحيث غاصا في بحر من الأحلام.

أعادهما إلى أرض الواقع صوت حركة آت من بين أشجار الدغلة ، التفتا ليشاهدا نمرا كبير الحجم لامع العينين يقترب منهما بخطا ثابتة مكشرا عن أنيابه.

تجمدا في مكانيهما ، وبسرعة فائقة قفز النمر قفزات اختصرت المسافة بينهم.

ارتعبت رفيقته كثيراً بحيث دارت بها الدنيا وفقدت وعيها وكرد فعل منه قفز من على الصخرة واتجه نحو الدغل مبعدا النمر عن رفيقته . تبعه النمر بخطا حثيثة . ركض بسرعة أكثر، زاد النمر من سرعته وكأن لسان حاله يقول إلى أين أنت ذاهب ، في النهاية ستكون طعامي لهذه الليلة ألا تعرف أن هذا هو عريني.

زاد من سرعته وهو يلتفت نحو النمر الذي أخذ يعدو خلفه مزيدا من سرعته لدرجة كاد أن يلتقط قدمه أكثر من مرة حول وجهته وقصد أول شجرة وتسلقها بسرعة السنجاب . تبعه النمر متسلقا الشجرة خلفه كيف لا يفعل ذلك وهو في النهاية من فصيلة الهررة.

قفز إلى شجرة أخرى فتبعه النمر قافزا، ثم انتقل إلى شجرة ثالثة فرابعة وخامسة والنمر يقفز خلفه حتى أصبحا على متن آخر شجرة . كشر النمر عن أنيابه أكثر مصدرا أصواتاً رهيبة.

ارتقى صاعدا حتى وصل إلى ذروتها والنمر يتبعه بإصرار نظر نحو الأرض فوجدها بعيدة جدا ورأى أن القفز مستحيل وإن بقي في مكانه فالنمر له بالمرصاد . وهنا قرر المواجهة والتفت نحو النمر وصرخ بأعلى صوته وهو يكشر عن أسنانه مقلدا الأسد بزئيره عله يخيف النمر الذي رد عليه بصرخة أقوى وانقض عليه وضربه بيده صرخ بصوت عال جدا وإذا بيد تهزه من كتفه وتربت بالأخرى على وجهه . فتح عينيه ليجد أمه تقف فوقه وتمسك بكتفه وهي تردد:

﴿قل هو الله أحد . . . . ﴾

# جولة منحوسة

طلبت منهم الكلية إجراء تحقيق ينظم كحلقة بحث اجتماعي لسكان منطقة ريفية مدققين في كل علا قات أهلها الاجتماعية وتعلقاتها الاقتصادية . لأن كل شيء يخص أهل الريف يكون متداخلا مع أشياء أخرى إذ لا يستطيع الفرد أن يفرز هذه العلاقات عن بعضها ، لذلك شكل الأصدقاء مجموعة كاملة . وبعد أخذ موافقة الأستاذ والمشرف اجتمعت المجموعة وأيدوا اقتراحا تقدم به زميل لهم بأن تكون قريته هي المكان الذي سيجرون تحقيقهم وبحثهم فيه مستغلين تلك المهمة للقيام بنزهة يطلعون فيها على معالم تلك الأماكن الجميلة والمسماة المنطقة الوسطى.

اتفق الأصدقاء على موعد السفر وكان اليوم الذي يلي يومهم هذا وتفرقوا ليؤمن كل منهم حاجاته ومستلزمات رحلته على أن يكون اللقاء في أرض مركز الانطلاق.

جهز كل مستلزمات رحلته ووضعها في حقيبة وكان التوتر بادياً عليه منعكسا على حركاته وعلى ملامح وجهه.

انتبهت والدته للأمر فتقدمت وسألته مستفسرة عن سبب قلقه وتوتره.

أجاب: إنها أول مرة أقوم بمثل هذه الجولة وإلى تلك الأماكن بالذات والتي كنت قد سمعت عنها وعن أهلها الغيارى والطيبين جدا والكرماء . وكذلك تلك الصفة الهامة ألا وهي رفض الجور والتسلط والاستغلال كيف لا ومن هناك قامت ثورات عدة ضد المستعمرين والمستغلين عبر الزمن.

أتم كل شيء بمساعدة والدته ثم وضع الحقيبة فوق الطاولة وبعدها جلس مسامرا والدته قبل أن يستلقي محاولا دفع هواجسه بعيدا.

حمل حقيبته وغادر المنزل بعد أن ودع والدته واستقل حافلة بدلها مرتين حتى وصل إلى مركز الانطلاق ليجد المجموعة بانتظاره.

استقل الجميع باصاً محدثا ذو مقاعد مريحة وكان مجهزا بمجموعة تكييف تلطف الجو بشكل عام ، وبعد الانطلاق عرض التلفاز فيلما لكسر الملل وتخفيفا لمعاناة السفر الذي سيدوم أكثر من ساعة.

وصل الجميع إلى تلك المدينة الساحرة والزاخرة بالمعالم السياحية والتي حملت اسمها كونها تقع على ضفتي نهر عظيم نشر خيره على أهلها منذ القديم.

استقل الجميع سيارة نقل صغيرة أقلتهم إلى القرية التي تبعد مسافة لا بأس عن مركز المدينة.

أدهشتهم تلك المناظر التي شاهدوها في طريقهم وخصوصا ذاك التنوع البيئي الذي ظهر بشكل واضح جدا.

وصل الجميع إلى بيت العائلة الكبير حيث استقبلهم جد زميلهم وأعمامه وأولاده بوجوه باسمة لوحتها الشمس مبرزة الطيبة المتأصلة التي غرستها هذه الطبيعة المعطاء في نفوسهم لتنعكس بشاشة عفوية على ملامحهم ودماثة في تعاملاتهم.

أمضى الجميع يوما جميلا ممتعا اختتم بسهرة قروية يمكن وصفها ضمن تعداد ليالي العمر إذ استمتعوا بمسامرة كبار السن الذين حضروا للترحيب بالزوار وما رووه من أخبار وحكايا تسلب الألباب.

وفي اليوم التالي فتح كل منهم حقيبته مفرغا منها حاجاته الشخصية وهنا تفاجأ بأنه قد نسي آلة التصوير خاصته كونه نسي إحضارها من محل التصوير، إذ سلمها ليتم تركيب فيلم جديد لها.

انزعج كثيرا من هفوته هذه لأنه سيؤخر عمل زملائه لبعض الوقت ريثما يذهب إلى المدينة لشراء آلة تصوير جديدة رغم كل العروض التي قدمت له من مستضيفيه بأن يعيروه آلة تصوير أو أن يرسلوا أحد أبنائهم لجلبها من المدينة ، إلا أنه أصر أن يذهب لشراء واحدة جديدة بنفسه.

وبالفعل ذهب وما إن حط رحاله في قلب المدينة حتى بدأ بالبحث عن محل لبيع آلات التصوير . وبينما كان يسير متطلعا ومدققا في إعلانات المحلات سمع صوتا نسائيا يناديه . التفت ليجد امرأة تقف على زاوية الشارع وأمامها بضع أكياس تقدم منها عارضا خدماته بشهامة ابن البلد فشكرته وطلبت منه أن يساعدها .

حمل الأكياس وسار خلفها وكانت ترتدي ملاءة سوداء تغطيها بالكامل . دخلت في شارع فرعي ومنه انحرفت إلى زقاق، وبعد مسير مسافة لا بأس بها سلكت زقاقاً آخر وكان أقل عرضا من الزقاق الأول ، ومنه إلى زقاق آخر أضيق من سابقه إلى أن دخلت في زقاق ضيق يقع في صدره باب حديد أسود بعرض الزقاق . التفتت نحوه وقالت:

- وصلنا يا ولدي عافاك الله.

- الحمد لله .

ووضع الأكياس عند الباب واستدار وأراد العودة عندها صاحت به بلطف:

- مهلك يا ولدي أريد منك خدمة أخرى إن لم يكن لديك مانع.

- لا العفو أنا تحت أمرك ماذا تريدين؟

- أرجو أن تدخل لتساعدني على رفع البرميل لأن بائع المازوت وعد أن يأتي بعد قليل لتعبئته.

- حاضر.

فتحت الباب ودخلت قبله بينما انتظر هو قليلا . نادته أن يتبعها ، ولج المدخل وكان بداية لممر طويل ومظلم لدرجة أنها اختفت في آخره كونها دخلت بسرعة وهي تصيح من الداخل

- ادخل يا ولدي تعال إلى هنا . قال لها:

- الممر مظلم جدا أين أنت يا خالة.

- تقدم ولا تخف.

أشعل عود ثقاب من علبة كبريت كانت في جيبه ، وسار حتى أصبح صوتها قريبا . أشعل عودا آخر ورفعه ليراها ولكن في هذه اللحظة أدارت مفتاح النور. رآها واقفة عند باب الغرفة وكانت قد خلعت الملاءة وبقيت في قميص نوم شفاف لا يستر من جسدها شيئاً جحظت عيناه وخفق قلبه بشدة لدرجة كاد أن يغمى عليه . إلا أن غريزة الحيوان فيه دفعته إلى أن يتقدم نحوها وهو فاتح فمه محملقا.

- ادخل وانتظرني هنا ريثما أبدل ثيابي.

دخل الغرفة دون أن ينبث ببنت شفة ، بينما ازداد خفقان قلبه لدرجة أنه بدأ يسمع دقاته بأذنيه.

مر بالقرب منها وكاد أن يلامسها وإذ بالباب الخارجي يفتح بقوة، وكأن من يقوم بذلك يستخدم يده ورجله مصدرا صوتا وعرا وغليظا.شهقت قائلة:

- يا ويلي هذا زوجي.

صعقته ردة فعلها وذهل وغاب بصره وعقله وصار لا يعرف ماذا وما عليه أن يتصرف.

همست له قائلة:

" تعال واختبئ خلف الستارة لأنه همجي وشرس جدا. "

فعلا وبسرعة اندس خلف الستارة وصدره يعلو ويهبط بسرعة ودقات قلبه تزداد بشكل مضطرد.

اقترب الرجل صائحا:

- من الذي عندك يا خائنة؟

لم يلق جوابا . وكان يسمع من الغرفة حيث كانت المرأة مختبئة طقطقة أسنانها وصوت تنفسها من شدة خوفها.

- أين أنت يا فاجرة وأين هذا النذل عشيقك؟

سأل نفسه "كيف عرف بوجودي" . وفجأة تذكر أنه أسقط قبعة كان يرتديها عند مشاهدة المرأة عارية حيث تعثر فيها فعرف بوجوده

يا ويلي واسترق نظرة من خلف الستارة وإذا به يرى رجلا طويلا وضخما يرتدي الزي الشعبي المؤلف من صدرية وقميص أبيض مطرز وسروال أسود وكانت ملابسه كلها ملطخة بالدماء نتيجة عمله بالمذبح.

وفجأة انقض على الستارة وأمسك به قائلا:"وقعت بيدي يا سافل" و المرأة في الغرفة ترتعب ولا تستطيع حتى النطق.

رماه أرضا وجلس فوقه ومد يده في جيب سرواله وأخرج قطعة حبل يستخدمها عادة لتربيط أطراف الذبائح.

قلبه على بطنه وربط يديه إلى بعضهما من الخلف ، وقام وهو يقول:

- الآن سأريك يا منتهك الأعراض . ألم تجد غيري تسيء له أو تظنني سهل المنال . انتظر سأقطعك قطعا أكبرها كحبة الحمص.

ودخل غرفة جانبية وعاد ومعه سكين جزار طويلة . وباليد الأخرى مسن أملس وبدأ بشحذ السكين.

قال بينه وبين نفسه:

" قضي عليّ ، كيف أُفهم هذا الوحش."

ازداد اضطرابه وخوفه لدرجة أنه كاد أن يبول في ثيابه.

اقترب الرجل وهو يسن السكين.

ازداد خفقان قلبه وجف ريقه لدرجة أحس أن لسانه قد أصبح أكبر من الممر، وصار من المتعذر عليه تحريكه والصراخ طلبا للنجدة.

اقترب الرجل أكثر حتى أصبح فوقه تماما ورفع سكينه عاليا وهو يصيح:

" تشاهد على روحك يا نذل " وهم أن ينقض عليه.

انتفض وأصدر صوت غمغمة قوية جدا فتح عينيه وإذا بوالدته توقظه قائلة:

- اصح يا ولدي لقد أشرقت الشمس قم كي لا تتأخر عن موعد السفر.

مسح عينيه بيديه وتمتم:

"الحمد لله لقد كان حلما"

## جلسة في مقهى

جلس ذات يوم في أحد مقاهي ذاك الحيّ الذي كان قد انتقل إليه بعد أن غيرت والدته مكان عملها.

وكانت جلسته وللمصادفة الحسنة بالقرب من مجموعة كهول قد تقدم بهم العمر كثيراً لدرجة صار معها القويّ فيهم يسعل عدة مرّات قبل أن يتم جملة كان قد بدأها.

انبرى أحدهم وكان لمن ينظر إليه للمرّة الأولى قد اعتاد ذلك كون وضعه وهيئته وطريقة شرحه لما كان يلقيه على مسامع مجالسيه من جمل أبدع في صياغتها حيث رافق ذلك بتلك الإيماءات المعبرة من يديه وتقاطيع وجهه.

لفت انتباهه الموضوع الذي كان ذاك الشخص يحكيه لزملائه لدرجة أنه قام من مكانه وسحب كرسيه واقترب أكثر منهم وتبعه كذلك نادل المقهى ليضع أمامه كأس شاي كان قد طلبه قبل قليل.

ـ يا سادتي وبينما كنا نطارد فلول الفرنسيين في خفايا ومجاهل ذاك الجبل..فاجأني أحد الجنود وهو يسدد نحوي فوهة بندقيته قاطعا علي طريق الحركة بحيث منعني من مد يدي والتقاط بندقيتي التي كنت قد علقتها على كتفي.

رضخت لأوامره ونفذت كلّ رغباته التي كان قد حددها بموضوعين اثنين أولهما:أن أسير أمامه وأنا شابكا كفيّ فوق رأسي،وثانيهما:أن أصمت تماماً.

سرت هكذا مسافة لا بأس بها ولحسن حظي أنا وسوء حظه أني كنت أعرف كل مجاهل وخفايا تلك المنطقة نتيجة لذاك الوقت الطويل الذي كنا قد أمضيناه هناك

سقته إلى مكان كنا قد حفرنا به عدة حفر وموهناها جيدا لنستخدمها كمصائد للجنود

وكذلك لبعض الحيوانات الشاردة التي كنا في كثير من الأحيان وتحت ضغط حصار أولئك الجنود نصطادها للاستفادة من لحمها وفرائها.

سرت رويداً رويداً كمن يختار مكان وضع قدمه موهماً إيّاه بأن ذاك الدرب وعرٌ جداً، ساعدني في ذلك تلك القطع الحجرية المنتشرة طبيعيا وبشكل عشوائي لدرجة أنه وكما لمحت من حركاته عندما كانت تتاح لي الفرصة كان يقلد كل حركة كنت أقوم بها.

سرنا تلك المسافة ونحن صامتون تماماً.

حدث كل ذلك وسط ذهول وانشداد كل من جالسه وقتها بمن فيهم هو الذي قطع حتى النفس عندما كان يسمو بأحداثه محلقاً محاولا إثارة كوامن نفوس الجميع بكل مهارة وإتقان.

ـ ما الذي حدث بعد ذلك يا أبا العبد؟ قالها أحدهم.

ـ يا سيدي زدت من وتيرة حركاتي تلك دافعا إياه لتقليدي مما جعله أكثر ارتباكا واضطرابا،انتهزت لحظات ارتباكه هذه وقمت بقفزة طويلة تجاوزت من خلالها حفرة كنت ممن قاموا بتمويهها ، قلدني لا شعوريا لكنه ولجهله بطبيعة تلك المنطقة لم تصل رجله إلى حافة الحفرة مما أدى لسقوطه وهو يصرخ طالبا النجدة.

ـ ألم تقم بإنقاذه وأسره؟

ـ كلا لم يكن بمقدوري وقتها كون بقية عناصر وحدته كانت بالجوار.

ـ ما الذي فعلته إذا؟

ـ ما أن وصلت قدمي إلى الأرض حتى تابعت ركضي هاربا عبر تلك الفتحات الضيقة بين كتل الصخور الضخمة.

ـ ألم تعلم شيئا عن مصيره؟

ـ أبداً.

ـ لا أدري إنما لو كنت مكانك لقمت بأسره بعد أن أجرده من سلاحه كي أمكن جماعتي من مبادلته بأسرى لنا عندهم.

ـ الإنسان نظريا يستطيع فعل أي شيء إنما عند التطبيق العملي يتعرض لمعوقات جمة أهمها وأكثرها خطورة ذاك الرعب من مجهول لم نكن نعرف مصدره وخصوصا عندما يواجه الإنسان عدواً يفوقه عدة وعتاداً.

ـ ربما.

ـ ما كانت ردة فعل رفاقك عندما عدت؟ قالها أحد الجالسين.

ـ هنؤوني بالسلامة.

ـ ألم يعاتبوك على تركه وعدم أسره؟

ـ كلا

ـ لماذا؟

ـ لأنهم يعلمون ويقدرون صعوبة تنفيذ ذلك كونهم يعيشون الواقع نفسه.

ـ هات شاي يا رياض.قالها أبو عبدو.
ــ لا والله العظيم وبكسر الهاء،هذا الطلب على حسابي.قالها أبو محمد.
ـ دعك من هذا يا رجل أنا من قام بطلب ذلك أولا.
ــ حتى وإن كان ذلك صحيحاً،فذاك الطلب على حسابي ويكفيك أنت ما تقوم بقصه وسرده علينا من حكايا ومغامرات.
ـ نحن نتسلى ونتسامر فما الذي وراءنا.
ـ على من رسا الرأي.قالها النادل.
ـ عليّ أنا
ــ حاضر يا أبو محمد،طقم شاي أكرك لعمك أبو محمد وصحبه . قالها وهو يغادر متابعا جولته بين الطاولات.
عندها قام وبعد أن نقد ذاك النادل ثمن ما كان قد طلبه من مشروبات،غادر وهو شارد مفكر بأولئك الرجال الذين وصلت بهم رحالهم إلى مشارف المحطة الأخيرة،حيث يترجل الفرسان ويستسلمون لراحة أبدية بعد تلك الصولات والجولات وما أسفرت عنها من نتائج مفرحة ومحزنة وبالرغم من كل ذلك كانوا راضين تماماً عما فعلوه وكل ما كان يشغل بالهم ويهمهم في تلك اللحظات هو ذاك السلام الروحي الذي يحقق لهم تلك المصالحة المريحة مع الذات والتي كان معظمهم كأمثالهم يسعون جاهدين للوصول إليها،

لكن ولحكمة لا يعلمها أحد وقد تكون قانوناً سنته قوة خارقة جليلة تحظر على كل امرئ فعّل عقله من الوصول إليها ولم يفسح في المجال بذاك الخصوص إلا لمن عاشوا يومهم وكل همهم وما يشغل بالهم هو مواضيع تافهة بسيطة تقتصر على تحقيق ملذات ومتع يشبعون بها غرائز أقرب ما تكون للحيوانية والبدائية.

لذا ترى تلك القوة تلقي بظلال ذلك على من أتموا كل واجباتهم ونفذوا كل ما كانوا قد كلفوا به عبر عمرهم المديد.

وصل المنزل بعد أن كان قد ابتاع حاجيات كانت أمه قد كلفته بإحضارها،بدل ثيابه ودخل المطبخ ليعد طعام الغداء كعادته وقبل وصول والدته.

بعد أن جهز تلك الوجبة التي كانت من الأكلات المحببة لقلب والدته كونها تذكرها بسالف الزمن أيام كانت وبقية أفراد أسرتها يتجمعون حول مائدة حوت صينية كبيرة تم صب كل محتوى ذاك القدر فيها وكان يوضع بجانبها بضعة رؤوس من البصل وقليلٌ من المخلل.

رتب تلك الطاولة جيداً وذهب ليستلقي قبالة جهاز التلفزيون ريثما يحين موعد حضور والدته.

ولتوافق الصدف كان يبث مشاهد من مسلسل تاريخي تقليدي، تابع تلك المشاهد وسرح بخياله مسترجعا بعضاً مما كان قد سمعه من أولئك الكهول.....

حيث كان في تعداد فرقة من فرق الجيش العثماني إبّان الحرب العالمية الأولى والتي كان يطلق عليها حرب"السفر برلك"

كان ولسوء حظه يخدم بإمرة ضابط من أمثال أولئك الضباط الذين كنا نسمع عن ما كانوا يقومون به من أعمال كرّست ذاك المفهوم لدينا إذ كانوا يبدعون شتى الأساليب ليحققوا مكاسب شخصية وبأي طريقة كانت،إذ ذات يوم كلفه مع بعض من رفاقه بالهجوم ليلاً على بعض أملاك كانت تقع خارج قرية آمنة. مستغلاً ذاك الوضع ليستحوذ عليها بحجة دعم مخزون التموين لفرقته.

نفذ ذلك مكرهاً،وبما أنها كانت المرة الأولى التي يقوم بها بمثل هذا العمل كانت صدمته كبيرة وبالأخص ما كان قد تناهى إلى سماعه من عبارات حوت في طياتها الكثير من الدعاء والابتهالات التي كان يطلقها أولئك الفقراء المغلوبين على أمرهم لأن ما قام به هو ورفاقه كان قد سلبهم حقهم وهدر عرقهم وإنتاج عامهم لذا قرر منذ ذاك الوقت عدم إطاعة أي أمر مماثل في المستقبل.

أيقظهم بوق النفير ذات صباح وكان الجو آنذاك مكفهرا إذ كانت تلك الغيوم التي تراكمت فوق بعضها كطبقات قماش متعدد الألوان صف فوق بعضه في واجهة محل أقمشة لعرضه على من يدخل ذاك المكان من المتبضعين،إذ كانت الأطراف تظهر متباينة في محاولة منها لاحتلال أكبر قدر من المساحة حيث كان ضوء ذلك الفجر يتفاوت بقوته حسب ما كانت تسفر عنه تلك المنازلة من نتائج.

اصطف العسكر في رحاب تلك البقعة وعلائم التعب والإرهاق بادية على وجوههم إذ اضطروا لسماع ذاك الموشح الذي كانوا قد حفظوه عن ظهر قلب والذي

تضمن أن ما يقومون به يصب في خدمة صاحب الجلالة مولانا السلطان المعظم ومساعده صاحب الباب العالي خليفة المسلمين وحامي الديار المقدسة.

عليكم الآن التجهز جيدا والتحفز للمغادرة باتجاه أرض فلسطين كوننا سنواجه هناك أولئك الكفرة من الغزاة الإفرنج.

وبالفعل ما هي إلا لحظات حتى دقت الطبول ونفخت الأبواق معلنة بدء التحرك حيث بدأ ذاك المسير الشاق والذي سيعبرون أثناءه تلك المناطق الجبلية الوعرة جداً

دام مسيرهم يوما وبعض اليوم،لم يتسنى لهم تناول سوى القليل من الطعام الذي كانوا قد أحضروه قبل مغادرتهم لذا بدأ التعب والإرهاق بالنيل منهم شيئاً فشيئاً مدعوما بذاك الجوع القاتل الذي بدأ بدوره وقبل فترة يدب فيهم ناهشا جدران صمود كل منهم إذ تفاوتت درجات وقوة ذاك الصمود من شخص لآخر كل حسب تنشئته وبنيته الذاتية.

لذا شوهد الكثيرون ينهارون تماماً بحيث لم تنفع معهم كل تلك الركلات وفرقعات الأصوات على أجسادهم لذا كانوا يتركون كقطع بالية أو بقايا مهملة على قارعة ذاك الطريق الذي كانت نهايته مجهولة تماما بالنسبة لهؤلاء الذين كانوا قد اقتيدوا سابقا من بيوتهم عنوة إلى تلك الأماكن التي لم يكونوا قد زاروها قبلاً لا هم ولا أهلهم من قبلهم.

دام مسيرهم هذا حتى مساء اليوم الثاني حيث أمروا بالتمركز على حدود مدينة صغيرة تقع وسط ذاك السهل الشهير والذي كانوا يطلقون عليه فيما مضى أرض الجود لما كان يقدمه من خيرات تفيض على كل المنطقة المحيطة.

بعد أن استقر بهم المقام قام ذاك الضابط الجشع بتشكيل عدة فرق صغيرة كلفها بهمة تأمين تموين لقواته من ممتلكات تلك المنطقة تماشيا مع عادة كان قد سنها قادتهم إذ كانوا يؤمنون تموين قواتهم من خيرات الأرض التي يحلون بها وخصوصا عندما تكون مواقعهم بعيدة عن أملاك السلطنة.

دخل هو وجماعته ربوع مزرعة كان أهلها نياماً من شدة تعبهم وإعيائهم بحيث لم يتنبهوا لتسلل هؤلاء الغرباء إلا عندما أنهى هؤلاء عملهم وهموا بالمغادرة،وبالرغم من كل ما قامت به كلابهم من حركات تنبيه وغيرها عندما استفاق بعضهم حيث قاموا بمقاومة أولئك الغزاة لكن ولكثرة عددهم لم يتمكنوا من فعل شيء سوى أنهم تلقوا الضرب والرفس بالرغم من أنه كان بينهم بعض النساء هذا ما كان قد أثر في نفسه كثيراً وبالأخص عندما قام أحد أولئك الجنود بصفع إحدى النساء وألقاها أرضاً وهي تصيح ألما من تلك الرفسات التي كالها لها قبل أن يغادر محملا بما كان قد سرقه

بقي هكذا فترة من الزمن صامتا ذاهلا مفكرا بكل شيء وبالأخص فيما يتعلق بجدوى هذه الحملة التي يشارك فيها.

لذا وفي لحظة تجلّ قرر أن يستنكف عن أي أمر أو مسعى سيؤمر به لاحقا،وكان قد بات ليلته على هذا.

وفي الصباح وبعد ذاك الاجتماع التقليدي اختاره ذاك الضابط مع بعض من رفاقه ليقوموا باستحضار ما يمكن الاستيلاء عليه ، غادر مع المجموعة وكله تصميم على أن يمنع أيا من عناصر مجموعته تلك من القيام بعملية سلب وإنما سيحملون ما كان يجود به أولئك الطيبون.

وبالفعل ما إن دخلوا رحاب مزرعة دل محتواها على مستوى مالكها المادي الذي قام بكل لطف وكرم بتقديم كل مساعدة لهم إلا أن أحد العناصر من أولئك النهمين عديمي الشعور كان قد صمم على أخذ إحدى التحف من أرض تلك المزرعة والتي كانت تزين نافورة ماء وسط ساحة .

لم تنفع كل محاولات المالكين في ردعه وتحويل وجهة نظره وهدفه،إذ كان يزداد تشبثا برغبته تلك حيث قام باقتلاعها من مكانها عندها قام بالهجوم عليه وبلكمة قوية أردته أرضا حيث كال له اللكمات المتتالية بذل وقتها رفاقهما بالإضافة لأصحاب المزرعة جهدا كبيرا لتخليصه من يديه .

عندها قام وحمل بندقيته وفرّ هاربا وبقي هكذا فترة طويلة من الزمن يتجول في مجاهل تلك البلاد مجسدا حالة"الفراري"بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، إلى أن وقع في كمين أعدته له مجموعة من عسكر ذاك الزمان الذين كانت مهمتهم ملاحقة أولئك الفارين وإلقاء القبض عليهم.

اقتيد إلى معسكر كان يطلق عليه ثكنة التأديب حيث لاقى هناك شتى أنواع العذاب والذي كان أولئك الجلادون قد ابتدعوا صنوفاً منه لم تكن قد جرّبت سابقا في أي مكان على وجه هذه الأرض.

هرب من هناك عدة مرات غاب خلالها لفترات طويلة وكان في النهاية يقع بأيدي أولئك الشرسين والذين كانوا يمنحون مكافآت مغرية للإيقاع بأولئك الفارين.

بقي في ذاك المعتقل فترة طويلة إلى أن عرض على هيئة محكمة عسكرية كانت تشكل في العادة من عدة ضباط كبار حيث تنظر في تلك القضايا وتبت بها.

وكان معظم ما يصدر عنهم من قرارات هي أحكام الإعدام الذي تنوعت أشكاله وأساليب تنفيذه من الشنق حتى الموت على الخازوق وكان كل فار من أولئك يبتهل إلى الله أن يكون حظه بأي نوع عدا النوع الأخير،كونه أصعب الأنواع وأقساها حيث يبقى المنفذ فيه ذاك الحكم ينزف أياما حتى يموت بعد آلام لا تحتمل.

وكان كالعادة حيث كرس سوء حظه حاله عنده إذ نطقت تلك الهيئة بذاك الحكم الشنيع.

بات أياما عدة يقتله الرعب منتظرا تنفيذ ذاك الحكم أو حدوث ما لم يكن يتوقعه

وذات صباح قامت مجموعة من الحرّاس باقتياده إلى ساحة المعسكر حيث قيدوه إلى خشبة صنعت على شكل صليب ربطت يداه وجسده عليها مباعدين ما بين ساقيه.

بقي هكذا لأكثر من ساعة بدأت خلالها ساقاه ترتجفان من شدة التعب والإعياء الذي كرسه ذاك الجوع القاتل.

وما هي إلا لحظات حتى حضرت مجموعة التنفيذ وكانت مكونة من عدة ضباط وعدد كبير من المرافقين الذين كانوا قد أحضروا لمشاهدة ذاك التنفيذ ليتعظوا ويتفكروا جيدا.

تقدم عدد منهم واصطفوا خلفه تماما ثم ما لبث بعد ذلك أن تقدم نحوه شخص ومعه عصا تشبه الرمح التقليدي عندها تقدم اثنان من تلك المجموعة وقاموا بتمزيق سرواله تماما ومن ثم قرفص حامل الرمح وبدأ بغرس رأس الرمح في مؤخرته ببطء وسط تململه من شدة الألم الذي كان يشعر به ولم يستطع البوح به كون فمه كان قد أغلق بكمامة سميكة وبعد ذلك حمل ذاك الشخص مطرقة خشبية ورفعها محاولا ضرب مؤخرة الرمح كي ينغرس عاليا.

أثناء ذلك تقدم أحد الجنود وفك تلك الكمامة عن فمه وما أن هوت تلك المطرقة على مؤخرة ذاك الرمح حتى صدرت تلك الصرخة الهائلة التي عمت أرجاء المكان.

الأمر الذي دفع بوالدته التي كانت قد حضرت وقت ذلك لإنقاذه بأن هزته من ظهره ومؤخرته.

استفاق وكان ينام على وجهه.

ناولته والدته كأس ماء وهي تردد:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

## عالم النمل

في إحدى زياراته لقريته وبينما كان يسير وسط بستان كثيف الشجر وارف الظلال. استوقفته شجرة جوز ثخينة الجذع عالية الأغصان ومديدتها ، وكانت حبات الجوز الخضراء تنبثق من بين الأوراق كصغار قطط فور ولادتها تحاول استطلاع محيطها وهي مغمضة العينين.

تطلع إلى تلك الظاهرة بشيء من الإعجاب ، إذ كيف تتحول تلك الحبة من حيث الشكل واللون لثمرة ضرب بها المثل للذة طعمها وبالأخص عندما تمزج بالعسل والسكر.

وكان قد مضى عليه فترة لا بأس بها وهو يسير حيث شعر بشيء من التراخي الذي ساهم فيه ذاك الهواء العليل العابر لظلال تلك الشجرة العملاقة.

لذا قرر الجلوس والاستناد إلى جذع تلك الشجرة طلباً لراحة ودّ الحصول عليها.

اتكأ على ساعده وشرد بصوت شحرورة سوداء لفتت انتباهه كونها جفلت من حركته تلك حيث طارت لتحط وسط شجرة أجاصٍ كانت تبعد عن مكان جلوسه بضعة أمتار.

تساءل:

" ما سبب خوفها هذا ؟....هل ظهوري المفاجئ وسط عالمها يثير فيها كل هذا الجزع؟. "

يـا لعـالم الطيـور كـم هـي حـساسة وشـكاكة ، إنـي أعذرها لما تلاقيه أثناء تجوالها من مضايقات تتصل لحد القتل المتعمد على أيدي من يدعون القيام بتلك الرياضة الطبيعية والتي يتفاخرون وعلى الملأ بإنجازاتهم الباهرة فيها والتي تكون بمجملها على حساب حياة ومجتمعات تلك الكائنات الأليفة التي تضفي على هذا الكون سحراً يسلب الألباب وبالأخص عندما تتوحد في جوقة تبث أسمى ما تجود به حناجرها من نغمات تسري متسللة في النفس مسيطرة عليها كغازٍ ماكرٍ اتبع أسلوب الخديعة والاستئناس بحيث تسلم المناطق التي يطالها بكل رحابة صدر إلى أن يتولى قيادها ويسحبها إلى عالمه الفسيح ليضمها إلى قاعة عرشه كمثيلاتها من النخب الراقية.

أعاده لواقعه وخزة مؤلمة بعض الشيء في ظهر كفه الرابض على الأرض كركيزة خشبية رفعت سقفاً عالياً لخيمة عملاقة أو أسندت جداراً مال نتيجة لما مرّ عليه من نوائب.

سحب يده ورفعها حتى صارت أمام عينيه عندها رأى ما كان قد آذاه ، وكانت نملة سوداء كبيرة أطبقت كلا فكيها على جدار كفه وهي تنظر إليه شذراً كما رآها معترضةً على قطعه طريق قافلتها الصاعدة إلى أعلى غصن في تلك الشجرة.

أمسكها بيده بلطف خشية إيذائها وأعادها إلى حيث بدأت مغامرتها تلك لتنضم إلى ركب ذاك السيل الجاد ، والذي يشكل لمن يراه لأول مرّة خيطاً أسود بدايته جذع غصن قررت الشجرة التخلي عنه لذا منعت عنه مواردها،

وكانت نهايته عند قاعدة الشجرة حيث تلتقي أفواجاً آتية من كل الجهات محملة بما كانت قد جادت عليها الطبيعة من خيرات.

نظر إلى أعلى بشرودٍ مراقباً ذاك الجهد الذي تبذله كل حشرة وهي تحاول إيصال غنيمتها إلى مقر مملكتها لتنال الرضا ، وبالتالي لتثبت لقريناتها بأنها ليست بأقل شأن منهنَّ.

تثاءب نتيجة لارتخاء عضلاته وهو يصعد بنظره إلى أن وصل لتلك البوابة التي تعمل كل عاملة إلى الولوج فيها ولتصل وتحط رحالها وسط رحاب مملكتها الحبيبة ، والتي كانت وحسب ما تخيلها كبوابة قلعة تاريخية شيدت جدرانها من حجر أبيض قاسٍ وكذلك كان الباب ، إذ يظن الناظر إليه عن قرب بأنه هو والأعمدة والجدران قد نحتت من كتلة صخرٍ واحدة.

وقف أمام تلك البوابة منتظراً ومترقباً أن يفرغ من يحرسها ولو قليلاً ليطلب منه الإذن بالدخول ، إلا أن انتظاره قد طال حتى دخلت آخر عاملة.

وعند محاولة الحراس إغلاقها كالعادة تجرّأ وطلب الإذن بالدخول من كبيرة تلك المجموعة وكانت عاملة ومن ملامحها عارفة بأنها شديدة المراس ، حيث تفحصته بعينيها الحادتين من الأسفل إلى الأعلى عدة مرات ، وفي كل مرة كانت تتبادل بضع عبارات مع عناصرها.

رابه الأمر لدرجة أنه حسب أنهنّ سيهجمن عليه ويقطعنه إرباً إربا ، كي يسهل عليهن إدخاله ، إلى أنه ارتاح أخيراً لتلك النظرة الراضية من الرئيسة حيث طلبت من اثنتين من عناصرها أن تقوما بتفتيشه ،

وبالفعل بدأت المجندتان عملاً دقيقاً بينما غادرت ثالثة المكان إلى جهة مجهولة.

وبينما كانت تلك الحارسات يقمن بعملهن تطلع إلى جسده حيث راعه ذاك المشهد إذ تحول إلى نملة ولكن بلون مغاير لشعب تلك المملكة ،

قال محدثاً نفسه:

- كيف صرت إلى هذه الحالة ، ومتى؟... هزّ رأسه متعجباً ولكن بشيء من رباطة الجأش ، كونه قد ركز جلّ اهتمامه في الحصول على ذاك الإذن ليتمكن من اكتشاف عالم غامض بالنسبة له.

انتهت المجندات من عملهنّ وغادرتا لتأخذا مكانهما على جانبي البوابة بعد أن استلمت كل منهنّ سلاحها من زميلاتٍ كنّ يراقبن ما كان يجري بكل حذر وتأهب.

بقي في مكانه هكذا بناءً على تعليمات رئيسة المجموعة لفترة من الزمن ، إلى أن عادت تلك الرسولة لتعطي الرئيسة تقريرها ، عندها طلبت الرئيسة منه أن يرافقها ولكن بعد أن قامت بتلقينه بعضاً من التعليمات التي يتوجب عليه إتباعها كي تكون جولته هذه ناجحة وموفقة.

سارا معاً ومن خلفهما سارت أربع مجندات بسلاحهن الكامل وعلى نسقين لأن دربهنّ كان ضيقاً بعض الشيء حيث رابض الحراس على يمينه ويساره وكانوا يؤدون التحية الرسمية لتلك الرئيسة ومرافقيها.

وما إن صاروا جميعاً أمام بوابة كبيرة نسبياً احتلت الدرب تماماً حتى تقدمت إحدى الحارسات من تلك الرئيسة وحيّتها بكل احترام واستمعت لما قالته بكل

خـشوع ، ومـا أن انتهـت الرئيـسة مـن كلامهـا حتـى استدارت وغادرت عبر تلك البوابة لتغيب قليلاً وتعود حيث طلبت من الزائر والرئيسة مرفقتها ، بعد أن طلبت من المرافقين البقاء حيث هم.

عبـرا أثنـاء سيرهما عدة مداخل إلـى أن ولجـا ذاك المعبر المفضي إلى ممر عريض اصطف الحرّاس على جانبيه ، وقبل وصولهما لتلك البوابة اللامعة كما بدت لهما من بعيد.

تقدمت منهما مجموعة تترأسها قائدة وقورة حيث تجندت كل منهنّ بحزام من لون مغاير ومميز إذ أنه علم فيما بعد أنهنّ من حرس المملكة الخاص واللاتي يتم اختيارهنّ كون مسؤولياتهن ومهامهن خطيرة ، واللاتي ما إن تعرفن على القادمين حتى قمنا بمرافقتهما إلى أول حجرة حيث تجريد الداخل من كل ما يحمله من أدوات ليدخل المملكة مجرداً إلا من كسوته.

ومن تلك اللحظة بدأت مغامرته التي تسلب العقل والقلب إذ كانت البداية من قسم الاستلام والذي كان واسعاً جداً ، حيث يتم استلام كل الأرزاق من العاملات وبعد أن يتم تسجيل ذلك على صحيفة كل منهن الخاصة وبدقة متناهية ليتم توزيعها لاحقاً على شعب تلم المملكة كل حسب حصته.

نظر إلى الرئيسة مستفسراً....والتي قامت بتقديم الشروح له موضحة ما كان قد خفي عنه إذ قالت:

- نحن هنا في عالمنا نقوم بتوزيع المؤونة على كل فرد من أفراد مملكتنا كلّ حسب جهده وإنتاجه لذا نقوم بتسجيل كل شي بدقة كي لا يغبن حق أحد وليسود العدل بين الجميع.

وبعد ذلك تابعا سيرهما إلى أن صارا أمام بوابة كبيرة كانت الحراسة عليها أكثر صرامة.

فسرت له ذلك بأن ذاك المكان هو عبارة عن معمل يتم فيه طحن ومزج كل الأرزاق ليتشكل منها خلطة غذائية نادرة يصعب على أية جهة تقليدها ، عندها تجرّأ وطلب منها.

- هل بالإمكان الدخول إلى هذا المكان؟
- الأمر يحتاج لبعض المشورة وأخذ الموافقة.
- أرجو حصول ذلك.
- سأبذل قصارى جهدي.
- شكراً لك.

وبالفعل تقدمت نحوه مسؤولة البوابة طالبة الإذن بالدخول.

انتظرت قليلاً الرد الذي ستحمله إحدى الحارسات والتي غادرت لاستشارة المسؤولة عن ذاك المكان ، ولحسن حظه أتى الرد بالموافقة كون الحصول على ذلك من أصعب الأمور ولعدة أسباب أولها كون المكان معقماً جداً وحساساً ، وثانيها لأن العاملات هنا مسؤولياتهنّ كبيرة جداً لدرجة أنهن لن يتمكنّ من الرّد على أي تساؤل، وثالثهما كي لا تصبح عادة تتبع لاحقاً.

قبل دخولهما ألبسا واقيات كي لا تؤثر إفرازاتهما على تلك المواد وبالوقت نفسه تحميهما من نواتج تلك العملية المعقدة.

أول ما مرّا به هو مكان الوزن حيث توضع الكميات وتوزن بدقة متناهية لتنجح الخلطة ومن ثم تدخل قسم الطحن عبر أنابيب أقرب ما تكون بشكلها لسيقان المزروعات كالقمح والشعير.

وهنا كان المرور صعباً كون الجو يصبح خانقاً نتيجة لتطاير مخلفات تلك العملية.

تجاوزا هذه المرحلة بسرعة إلى القسم الذي يليه حيث تعبأ تلك المواد ضمن أوعية كانت قد جهّزت من قشور الحبوب كالعدس والقمح وما شابهها وتغلق جيداً ومن ثمّ تحمل وترصف ضمن مبنى ضخم حيث يتم خزنها.

انتقلا بعد ذلك إلى قسم آخر ، ارتدت العاملات فيه على رؤوسهن واقيات بلون فاتح.....فسّرت له مرافقته ذلك إذ قالت:

- هذا قسم الحضن حيث يتم العناية بالمواليد الجدد ، وهنا لا يمكنك تجاوز هذا الحاجز كون ذلك يشكل خطر على حياة المواليد.

تقبل الأمر ببساطة معللاً ذلك بحرصهنّ على مصلحة ونظام ذاك المكان حيث شاهد ما يجري من وراء ذاك الحاجز والذي اكتشف فور الاقتراب منه أنه مصنوع من أجنحة كاملة لنحل أو زنابير.

إذ راقب ما تقوم به تلك العاملات من أعمال بهرته لدقتها وانضباطها إذ كانت المواليد قد وضعت ضمن حجرات صنعت بكل دقة من بقايا نباتات ، كالأطفال في أسرتها ، وكان أكثر ما لفت انتباهه ما كانت تقوم به بعض من العاملات اللاتي كنّ يدرن حول الحجرات ويحركن أفواههنّ....فسرت له مرافقته ذلك:

- إنهنّ يقمن بعملية ترطيب وتهوية المكان كي يحافظن على درجة حرارة ورطوبة ثابتة لتناسب هذه المواليد.

تجاوزا ذاك المكان إلى مكان أكثر قتامة ، إذ كانت بوابته مصنوعة من قضبان كاملة مستخلصة من نسغ حبٍّ قاسٍ وكانت حارساته يرتدين زيّاً غامق اللون وكلّ منهنّ تتجنّد بسلاح وتسير بوتيرة واحدة وانضباط تام وصارم. بادرته مرافقته قائلة:

- هذا هو مقرّ السجن.
- سجن؟!
- نعم.
- ومن تزجون به؟
- كل من يخالف ويتجاوز التعليمات أياً كانت صغيرة تلك الخطيئة أم كبيرة.
- وهل توقعون عقوبات على أولئك المخالفين؟
- نعم ، ولكل مخالفة عقوبتها.
- وما هي أقسى وأشد تلك العقوبات؟
- تلك التي توقع بالسارق والمختلس ، ويعاقب ذاك على ثلاث مراحل.

- كيف؟

- المرحلة الأولى هي عندما يقدم على الاختلاس لأول مرّة ، حيث يسجن ويعاقب بالضرب من قبل الحرّاس ، ويحرم من الطعام ليوم واحد ، والمرحلة الثانية عندما يكرر فعلته حيث يعلّق إلى حائط ويضرب بقسوة ، ويحرم من الطعام لثلاثة أيام ، والمرحلة الثالثة ففيها تطبّق عقوبة الإعدام على الذي يكرّر فعلته أكثر من مرّتين ، إذ يقطع جسده إلى قطع صغيرة ويلقى بها في الممرات لتدوسها أقدام المارة عقاباً له وليكون عبرة لغيره من ذوي النفوس المريضة.

- هل لديكم مكافآت؟

- نعم ، إذ أننا نشكّل مجتمعاً عادلاً بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى ، كوننا نعطي كل فرد حقه بالتمام والكمال ، ونجزي المجدّين الذين يقومون بأعمال إضافية كالذي يحضر أكبر كمية من المؤونة ، إذ يصبح من ذوي الحظوة عند جلالة الملكة ، حيث يجالسها بشكل دائم ، وبعد فترة من مثابرته على ذلك يصبح من أقرب المقربين لها وإن كان ذكراً كان له الحظ بأن يحظى بفرصة دخول سباق اختيار الزوج بالتالي الملك.

- هل تتعرضون للاعتداءات؟

- نعم ، فمملكتنا محط أطماع الكثير من العوالم ، لذا تجدنا غاية في الحذر والصرامة في التعامل مع الغرباء ، من أجل ذلك اعذرنا على شدّتنا تلك.

- ومن هم أشدّ أعدائكم؟

- أشدهم وأخطرهم على الإطلاق هو ذاك المخلوق الضخم المدعو إنسان حيث يهدم ممالكنا بضربة من آلياته ليبني تلك السدود العالية والتي يصعب علينا تسلقها فما بالك بإقامة مقرات فيها.

أما العدو الثاني والذي يليه من حيث الخطر فهو تلك الكائنات المحتلة التي تأكل ثمرة تعبنا ببساطة وبالأخص عندما نقم بتجفيفها تحت أشعة الشمس مثل الطيور وغيرها من الحشرات.

أما الخطر الثالث والذي تأقلمنا معه ، وتعلمنا كيف نتعامل مع مجرياته فهو الطبيعة حيث المطر الغزير الذي يغرق ممالكنا في كثير من الأحيان ، لذا ترانا نقوم بإجراءات احتياطية تقينا إلى حد معقول ذاك الخطر.

- هل أستطيع مشاهدة بعض من عينات مجتمعكم؟

- بكل سرور...تفضل...قالتها وهي تشير له بأن يرافقها.

سارا معاً حتى وصلا ساحة قليلة الاتساع تشكل نقطة وصل لتفرعات عدة من دروب تنتهي بأبواب بعرض ذاك الدرب وكل منها وضع على ساريته لافتة تشير إلى ما يوجد خلف ذاك الباب . عندها توجهت نحوه قائلة:

- سنبدأ بهذا الدرب الذي يؤدي إلى عالم الفقراء والمعدمين.

وبالفعل سارا حتى صارا قبالة ذاك الباب الكبير وكان شفّافاً حيث كانت عائلات عدة تعيش في أماكن أشبه ما تكون بأكواخ الفقراء والمشردين الذين ينتشرون في العادة حول وعلى أطراف المدن...

عندها سألها:

- لم حال هؤلاء هكذا؟...وهل لديكم طبقات في مجتمعكم؟

- كلا ، لا طبقات عندنا ولكن هؤلاء الذي تراهم هم من المتقاعسين الذين لا يقومون بعملهم ، لذا تراهم يعيشون على ما تجود به سلطة المملكة عليهم من معونات ، كون حصصهم من الناتج العام والمتناسب مع إنتاجهم لا يكفيهم نهائياً.

- لماذا لا تجبروهم على العمل كي يحسنوا من أحوالهم؟

- نحن في العادة نحاول ذلك كثيراً إلى أن يسدّ أولئك السبل في وجهنا ، لذا تراهم يقاسوا مرّ العيش.

- لماذا لا تطردوهم من مملكتكم؟

- لأنهم ليسوا أشراراً ، ولأن من واجبنا العناية بأبناء جنسنا حتّى وإن كان المسؤول عنهم لا يقوم بواجبه.

هزّ رأسه استحساناً ولكن دون أن تشكّل لديه أيّ قناعة بذلك.

دخلا بعد ذلك مكاناً آخر وبعد أن عبرا بوابته شاهد من يعيشون هناك وكانوا بحالة أفضل بكثير من سابقيهم، علم بأن هؤلاء يقومون بواجبهم على أكمل وجه إذ يقدمون جلّ طاقاتهم في سبيل ذلك لذا ترى حالهم أفضل كون حصصهم أكثر.

أما من يعيشون في الجهة الأخرى والقابعون خلف تلك البوابة الفاخرة فكانوا كمثل أبناء الطبقات العليا والراقية في كل المجتمعات ، حيث علائم البطر والرفاهية بادية على كل شيء فيهم بدءاً من مكان إقامتهم وانتهاءً بوجبات طعامهم ، كيف لا يكونون هكذا وهم من أمهر وأبرع سكان هذا المكان فبسببهم وبجهدهم تحصل المملكة على الأرزاق وبالتالي الحصص لذا يستحقون هذا التمييز.

- ظننت أن مجتمعكم مقسّمٌ كبقية المجتمعات إلى طبقات لعبت السياسة العامة دوراً كبيراً في تأسيسها وتكوينها ، إذ أن الذي يكدّ جاهداً طيلة يومه لا يحصل على أدنى مستوى من حقوقه بينما من هم قابعون هناك في الأعلى يرتعون ويتمتعون بخيرات لم يكونوا قد بذلوا أدنى جهد في سبيل جمعها.

- نحن عكسكم تماماً إذ لا حياة بيننا لمن لا يعمل ويساهم في بناء هذه المملكة.

- أحسدكم على حياتكم وطريقة عيشكم هذه...بالمناسبة ألا تعتدي الممالك على بعضها؟.

- كلا.

- نهائياً؟.

- أبداً...بل هناك تنسيق وتعاون فيما بين الممالك المتجاورة والتي تنتمي لنفس النوع فتساعد بعضها إبان المحن حيث تمدّ بعضها بالمؤن كي تستطيع تجاوز ذلك وريثما يحين موعد جني الأرزاق.

- هل لديكم نظام تعليمي؟

- ليس بالمعنى الحرفي للكلمة كما يحدث في بقية العوالم ، إذ لا مدارس ، ولا دروس ، ولا دور تعليم بل نكتفي بتدريب الجيل الجديد عملياً وعلى الواقع ، لذا ترى ما أن يبلغ المولود الجديد حدّاً معيناً حتى يبدأ بالكدّ والعمل حتى آخر يوم من عمره.

- هل تشعرون بالأسى لفقدان عناصركم؟

- نعم كثيراً لأن لكل جيل عندنا مهامه ، لذا أي نقص يحدث يلزم البقية بسدّه عن طريق بذل الجهد الإضافي.

- هل عندكم أجناس في ممالككم؟

- نعم ، ولكن ضمن المملكة الواحدة لا يوجد إلا جنس واحد فقط.

- يعني أنكم لا تقبلون أغراباً بينكم.

- ليس تماماً ، لكن كلّ جنس من أجناسنا له طريقته بالحياة والعمل ، حيث تحدث إشكالات كثيرة عندما تختلط ، فمن أجل ذلك نفضل الاستقلالية ليتمكن كل جنس من التأقلم والتفاهم فيما بينهم بسهولة.

- عندنا نحن البشر نسمي ذلك عنصريّة.

- عندكم يصح ذلك لأن من يبني معتقداته ويلزم نفسه بها وتكون على أساس أفضلية الجنس والنوع وتميزه عن بقية الأجناس ، فهذا يخلق أزمات كما يحدث عندكم من قديم الأزل.

" نحن معشر ممالك النمل نشهد على ذلك لأننا عانينا الكثير أثناء حروبكم وبالأخص في الفترة الأخيرة حيث استخدمتم أشياء مدمرة لكم ولكل الكائنات الحية ، التي تشاطركم وبسلام العيش على وجه هذه البسيطة ،

والأدهى من كل ذلك أن تأثيركم هذا يطال الهواء والماء وغيرهما من مقومات لازمة للحياة. "

- أصبت فيما حللت وفسرت فنحن نقوم بذلك دون أن يساورنا أدنى شك بسوء العاقبة التي ستطالنا جميعاً.

- في حال دخول أي غريب مملكتكم عنوة ، ما هو مصيره؟

- القتل.

- كيف؟

- نشكل فوراً فرقاً لقتاله وقتله وتمزيقه للاستفادة من كل مكونات جسده كغذاء لنا ، وما لا فائدة منه نلقيه خارجاً ليكون عبرة لمن اعتبر من أمثاله الطامعين بأرزاق وخيرات الغير.

- هل أستطيع نيل شرف مقابلة ملكتكم؟

- بالطبع ، فهي بانتظارك ، كونها حددت ذلك فور دخولك عالمنا لأنها هي من أمر بالموافقة ، لذا تراك قد اطلعت على أدق تفاصيل حياتنا ببساطة ويسر.

- أشكرك وأشكرها على ذلك...متى يمكنني الحصول على ذاك الشرف؟

- بعد الانتهاء من جولتنا ، هذه هي العادة المتبعة هنا.

- لا بأس...إذاً فلنتابع جولتنا.

- بكل سرور ، تفضل...والآن سأريك شيئاً لم تكن تتوقع رؤيته من قبل.

- ما هو؟...لقد أثرت فضولي.

- رافقني وستعرف ذلك فوراً....

وبالفعل اجتازا ممرّاً ضيقاً يبلغ طوله بضع خطوات كان أقرب ما يكون إلى نفق يصل بين عالمين يفصل بينهما جبل شاهق. وعند بوابته شبه الشفافة وما أن صار أمامها حتى انفرجت كستارة تعمل بشكل آلي. تجاوزاه وعلى الفور أحس بأنه قد انتقل من عالم إلى آخر مغاير لكل ما كان قد رآه سابقاً ومن كل النواحي ، حيث شاهد هناك مجموعات ترتدي أزياء مختلفة.....عندها سأل عن المكان.

- هنا يتم عقد قران الأزواج الجدد.
- أزواج؟!
- نعم.
- على حد علمي أن هناك ملكة واحدة وهي التي تنجب كل أفراد المملكة.
- نعم صدقت ولكن هنا يتم اختيار الملكة الأصلح لذا يتم عقد قران عدة ملكات مرشحات وبموجب ذلك يتم اختيار الأصلح.
- ومن يقرر ذلك؟
- مجموعة حكماء أذعن الجميع ودانوا لهم بالولاء لسداد رأيهم وحسن اختيارهم.
- وبقية الملكات الزوجات؟
- يتحولن إلى عاملات كبقية أفراد المملكة.
- ويقبلن ذلك دون ضغينة؟
- نعم.
- أكرر ، أحسدكم على عالمكم وحياتكم.

- والآن أيها الضيف العزيز لقد جاء دور مقابلة جلالة الملكة المعظمة.
- أخيراً سأنال ذاك الشرف.
- تفضل وافقني إلى هناك

وبعد تجاوز عدة حواجز كانت تلك الرئيسة تقدم ثبوتياتها للقادة هناك وصلا إلى أمام بوابة تشبه إلى د كبير بوابات القصور الملكية التاريخية عند ذلك استوقفته قائلةً:

- الآن انتهى دوري هنا وستتولى أمر مرافقتك رئيسة أخرى من حاشية الملكة لأن ذلك محظر علينا.
- لا بأس وإن كنت غير راضٍ ذلك.
- هذه قوانيننا التي نحترم لذا عليك الالتزام بها كي تحظى بمباركة صاحبة الجلالة.
- حسناً أنا طوع أمر صاحبة الجلالة وأحترم كل قوانينكم كوني أعجبت بها لدرجة العشق.
- ممتاز ، لذا سأكون بانتظارك هنا عند انتهاء المقابلة لأرافقك إلى حيث توليت أمر دخولك عالمنا.

صعدا درجاً لم ير مثيلاً له من قبل من حيث التكوين والهندسة وغيرها لما حواه من تقنيات غاية في الروعة والإتقان إلى أن وصل لقبالة بوابة كبيرة وفخمة اصطف على جانبيها مجموعة من الحرس بثياب مميزة وبأسلحة مغايرة لما يحمله الآخرون من سرايا الحرس في هذه المملكة.

توقف قليلاً وعلائم الارتباك ظاهرة على محيّاه..تلفّت حوله قليلاً في محاولة منه لمشاهدة كل ما كانت تذخر به تلك الواجهة من تحف شغلت كلها يدوياً وعلى يد أمهر حرفيات المملكة.

وكان أهم ما لفت انتباهه لوحة تمكن من فك رموزها بصوبة وكان فحواها :

" أتقن عملك تنل ثقة الغير".

هزّ رأسه استحساناً كونها كانت ذات مغزىً ومضمون رائع. وفيما هو بحالته هذه أثارته لمسة ناعمة حطت على كتفه.

التفت ليرى رئيسة فائقة الجمال بثياب مميزة ومن خلفها وقف صفان من الحرس بحالة تأهب.

- تفضل بمرافقتي سيدي.

هزّ رأسه موافقاً وسار برفقتها ومن خلفها سار صفا الحرس بخطاً ثابتة وموزونة وبذات الوقت رزينة لدرجة أن الأصوات التي تصدر عن وقع خطا أولئك الحراس قد أثارت حواسه بحيث صارت تقع على سمعه وكأنها بالقرب من أذنه تماماً ، انتبهت الرئيسة لذلك حيث بادرته قائلة:

- غريبة عليك تلك الأصوات.

- نعم كم هي ذات صدى.

- لأن أرض هذا المكان رصفت بأفضل أنواع الخشب المقطوع من أقسى أنواع النباتات والممزوج بخليط سرّي.

- ما نوع تلك النباتات وما ذاك الخليط؟

- نقطعها من لبّ شجر كبير الحجم عندكم كالتي نقيم عليها مملكتنا هذه ، بحيث نقوم بجمع بقايا الحفر وشقّ الممرّات في مكان جافّ لفترة من الزمن حتى تجف تماماً وبعد ذلك تقوم مجموعة خاصة من العاملات بإفراز مادة من غدد جسمها إلى أن تصبح المادة كلها كاملة اللزوجة، تقوم بعدها مجموعة أخرى بفرشها وصقلها تماماً وتتركها لتجف.

- وهل يستغرق ذاك العمل وقتاً طويلاً؟

- بعض الشيء.

- وهل يجف تلقائياً؟...أو هناك من يقوم بذلك؟

- هناك من يقوم بذلك ، إذ تستنفر مجموعة من العاملات الطائرة بحيث تحلّق فوقها مرفرفة بأجنحتها مثيرة بذلك تيارات هواء تكون في البداية شديدة ، إلا أنها ما تلبث أن تبدأ بالهدوء إلى أن تصير عادية ، عند ذلك تصبح تلك الخلطة قاسية كما تشاهدها الآن.....انتظر هنا قليلاً ريثما نطلب الإذن بالدخول.

- حاضر.

غابت لفترة وعادت لتقوده نحو بوابة فخمة انفتحت بدورها لمجرد وصولهم لقبالتها.

دخلا معاً بينما بقي الحرّاس في مكانهم على جانبي البوابة.

- الاحترام والإجلال لكم مولاتي.

- أهلاً.

- السيد المبجّل زائر المملكة في حضرتكم.

- أهلاً بك في مملكتنا.

- كل الشكر لكم مولاتي.
- أهلاً بك فقد أسعدتنا زيارتك.
- شكراً ثانيةً.
- هل سعدت بزيارتنا؟.
- كل السعادة مولاتي...لدرجة كدت فيها عاجزاً عن التعبير عن مشاعري.
- نحن في غاية السعادة لسماعنا ذلك.
- هذا أقل ما يمكن التعبير عنه.
- تفضل واجلس على تلك الأريكة.
- حاضر...قالها وهو يتوجه إلى المكان الذي أشارت له بقائمتها العلوية عليه ، وما أن جلس حتى استأذنت الرئيسة وغادرت ليصير اللقاء مقتصراً على الملكة وبعض من وصيفاتها اللاتي تجمعن حول عرشها بالإضافة له.
- قل لي أيها المحترم ، ما الجديد الذي شاهدته في عالمنا ولا مثيل له عندكم؟
- عدة أشياء مولاتي.
- ما هي؟
- أولاً نظامكم العام.
- كيف؟
- ذاك الالتزام والاحترام لكل مجريات ودقائق القانون العام عندكم ومن قبل الجميع مهما علت مرتبتهم.
- ألا يوجد ذاك الالتزام عندكم؟

- يوجد في بعض المجتمعات...إذ يختلف ذلك من مكان لآخر وحسب طريقة الحكم السائدة ، بحيث يخضع الجميع للقانون من رأس الهرم إلى قاعدته ، وهنا يطلق على تلك المجتمعات "الراقية".

- راقية أم متقدمة؟

- راقية لأن الرقيّ...أن تسخّر كل نواتج التقدّم للصالح العام وبشكل عادي إذ تتحقق المساواة بين الجميع بالحقوق والواجبات وكذلك بالوقوف تحت سقف القانون والدستور.

أما في الأماكن المتقدمة فقط حيث يقع المجتمع بكل أطيافه تحت رحمة ذاك التقدم فتسلب الحريات الشخصية ، ويصبح الفرد عبارة عن قطعة في آلة فيفقد بذلك الكثير من مقومات شخصيته التي خلقها الله فيه.

- لقد وصلنا الكثير مما ذكرت عن طريق عاملات عشنا في ممالك أنشئت في تلك الأمكنة.

- وهل عندكم عوالم كالتي عندنا؟

- لا أبداً ، بل يوجد أنواع عدة ، لذا تختلف النظم إذ يرتبط ذلك بالطبيعة الجسدية والبنية التكوينية للكائنات هناك.

- هل تقع صدامات بين تلك الأنواع؟

- أبداً.

- لماذا؟

- لأن كل نوع له أمكنته الخاصة التي يصعب على نوع آخر العيش فيها ، إذ الظروف والعوامل الجوية تلعب دوراً بذلك.

- وإن تـصادفت وجـود ممالـك متقاربـة مـن أنـواع مختلفة؟

- لا يمكن ذلك ، لأنه لو وجدت لحدثت المشاحنات والصدامات كالتي تحدث عندكم وعلى أتفه الأسباب.

هزّ رأسه استحساناً وإعجاباً بلعبة الطبيعة تلك.

- مالي أراك تهز رأسك؟

- فعلت ذلك تقديراً لتلك الطبيعة التي حالت دون وقوع ذلك.

- هذه منّة من الطبيعة علينا والتي نحسد عليها من الكثيرين.

- وهل نظام الغذاء يختلف من عالم لآخر عندكم؟

- نعم كثيراً.

- كيف تمدون يد المساعدة لبعضكم وقت الكوارث؟

- نقوم بذلك بالعوالم المماثلة لنا بطريقة الطعام.

- ما الذي تفعله العوالم المختلفة عنكم حينها؟

- تدبر نفسها لأنها عالم قائم بحدّ ذاته قد يعيش أو يفنى معاً.

- غريب ما أسمعه!

- ما وجه الغرابة في ذلك؟

- لأني كنت أظن أن عوالمكم متضامنة وبالأخص وقت الأزمات.

- هذا مستحيل في عالمنا ، كون كل عالم يتميّز بنظام خاص به ولا سيما فيما يتعلّق بالإشارات وطرق التواصل بالإضافة لما تقوم به الملكة وتقدمه لرعيتها من وشائج ارتباط تميزه عن بقية العوالم الأخرى ،

لذا لا يمكن لأي فرد من أفراد المجتمع أن يعيش في عالم آخر نهائياً حتى وإن كان العالمان متشابهين بالصفات الظاهرة ، على عكس ما يحدث عندكم إذ يتمكن الغريب من العيش والتأقلم مع جوٍّ جديد رغم كل معاناته.

- ها..ها..لهذا قلتِ أن كل عالم تشكل كياناً مستقلاً.

- نعم صدقت فيما توصلت إليه.

- هل تستطيعون تغيير نظام غذائكم إن أردتم؟

- كلا.

- لماذا؟

- لأن لكل مملكة نظام غذاءها الخاص والذي يلائم طبيعة المنطقة التي تكون فيها.

- كيف؟

- عندما تفقس البيوض تشكل عالماً جديداً وبالتالي يجب عليه ترك المكان لتأسيس مملكة خاصة به ، فبذلك يلائم حياته بحسب ما توفره الطبيعة في ذاك المكان.

- أي أنكم تستطيعون تعديل بيئتكم وتكونكم الجسماني حسب الظروف.

- ليس بالمعنى الحرفي للكلمة لأن الجيل الجديد يوجد لهذه الحياة كما هو وما أن يبدأ حياته حتى تصبح مجرياتها عادية بحيث تهيئ وتعدل كل مكونات الجسم لتتلاءم مع الواقع.

- هل تتزوجين أكثر من مرّة؟

- كلا ، لأن العمر الافتراضي لممالكنا ثابت.

- يعني أنه قد تفنى كل المملكة في وقت واحد؟

- نعم إن لم تجد الأجيال الجديدة مكاناً مناسباً بالقرب من المملكة الأم.

- هل تطورت وسائل دفاعكم عبر الزمن.
- نعم وحسب مقتضيات الأمر ، ولكن بشكل بسيط جداً ، كوننا تعودنا على ما منحنا إياه الله.
- هل تجبرون أياً من أفراد عالمكم على فعل ما لا يرضيه.
- نعم إن كان ذلك يصبّ في الصّالح العام ، أمّا فيما يتعلّق بالأمور الشخصيّة فكلّ كائن حرّ في ما يفعله ويقوم به من أعمال وتصرّفات ، لذا وكما علمت أنك شاهدت في عالمنا ذاك الاختلاف بين الجماعات من حيث القناعات الفردية.
- أنا لا أقصد النواحي المادية فقط...بل الأفكار.
- كلها مرتبطة ببعضها ، إذ لا يمكن الفصل بين التصرفات والأفكار.
- معك كل الحق ، لذ تراكم تركتم كل فردٍ يعيش على هواه طالما التزم بالقانون.
- ألم تقوموا بمحاولة إنشاء علاقات مع عوالم من غير جنسكم؟
- كلا.
- لماذا؟
- لأنه لا يمكن ذلك كون كل عالم وكما ذكرت يختلف عن بقية العوالم من ناحية النظام العام والتكوين الداخلي ، لذا ترانا ننعزل وننفرد بأنفسنا كوننا الخاسرين بالتأكيد لأننا الأضعف.
- لكن وحسب معلوماتي أنكم تقومون بمهاجمة عوالم تعتدي على ممالك ومتعلقات عوالم أخرى كالإنسان.

- نعم مثل "المنّ" الذي يتطفّل على المزروعات و "القمل" الذي يمتص الدماء ، لكننا لا نقوم بذلك خدمة لأحد بل لتأمين غذائنا.
- أستغرب ذلك!
- ما وجه الغرابة فيما قلت؟
- لأني كنت أظن عكس ذلك.
- لذا نرجو أن تصحح ما التبس عليك.
- كم ينقص الإنسان من معلومات عن هذا الكون الفسيح.
- لا يمكن للإنسان أن يحيط بكل المعارف.
- نعم صحيح "وما أوتيت من العلم إلا قليل".
- سمعت هذه العبارة من قبل.
- من أعلمك بذلك؟
- من أسرار عاملاتنا اللاتي كنّ في طريق عملهنّ يمررن بمكان يتجمع فيه ابشر ويتحدثون فيما يشابه ذلك.
- المساجد؟
- لا أدري إن كان اسمها كذلك لأننا علما أنه يوجد أماكن يتجمع فيها أشخاص مغايرون ويقولون كلاماً مختلفاً وإن كان يصب في ذات المنحى.
- إنها دور عبادة تابعة لبقية الأديان سماوية كانت أم أرضية.
- لا أدري شيئاً عما ذكرته ، ولا أريد أن أعرف شيئاً عنه.
- لماذا؟
- لأننا شاهدنا ولمسنا ما فعلته تلك الفروق بأبناء جنسكم عبر لتاريخ ولا نريد أن تمر به مجتمعاتنا.

- معك حق...لم تجلب تلك التباينات إلا المآسي.
- ألم تستطيعوا فصل تلك الممارسات عن حياتك اليومية فبذلك ترتاحون وتستقرون .
- لا يمكن وعلى الأقل في الوقت الحالي.
- لماذا؟
- لأن المستفيدين من ذلك دمجوا الدين بالسياسة فبذلك تداخلت التعاليم السماوية بالأمور الوضعية والحياتية ، لذا صار من الصعب جدّاً الفصل بينهما لأن معظم القوانين الوضعية استندت منذ سنها على تلك التعاليم وبالتالي صار من المستحيل تغييرها رغم ضرورة ذلك ،

وبالأخص في هذه الفترة حيث التغيرات والتطورات التي حدثت في كل المجالات والي تستدعي ذلك.

- اقتنعت إذاً...أننا بغنى عن كل ذلك.
- معك حق في كل ما قلته... فهل أنتم راضون عن حياتكم هكذا؟
- نعم كل الرضا.
- هل تحمليني أية مطالب إلى عالمنا؟
- نعم هناك عدة مطالب ملحة يجب أن تنقلها وإن تمكنت من إقناع المتنفذين عندكم فقد تحقق شيئاً من السلامة والأمن لنا.
- ما هي؟..وسأعمل جهدي كي أوصلها.
- احفظ ما سأقوله لك...

" أولاً: نرجو من القائمين على العناية بالمزروعات بأن يكفوا عن إلقاء تلك السموم التي تقضي على كل من يلامسها ونحن الحلقة الأضعف في هذه التركيبة.

ثانياً: عدم ترك المياه تتدفق هكذا سدى في تلك المربعات التي تغرسونها بمزروعاتكم لأن ذاك الفائض يتسرب إلى ممالكنا وممالك عوالم أخرى ويخربها وأنت تعرف كم للمياه من آثار سلبية على الحياة إن أفلتت من عقالها.

ثالثاً: الابتعاد عن حدود ممالكنا عندما تقومون بشق الأرض بتلك الآليات والأدوات فبذلك تستفيدون من خدماتنا حيث نخلصكم من الكثير من الكائنات المتطفلة على منتجاتكم وفي الوقت نفسه نعيش وإياكم بسلام.

رابعاً: عدم إشعال النيران في بقايا محاصيلكم والتي تقضي بطريقها على عوالم تفيدكم وأنتم لا تدرون."

- مثل ماذا؟

- مثلنا ومثل عوالم كثيرة تعتمد أساساً بغذائها على تلك الكائنات الضارة لكم.

- هل من شيء آخر؟

- نعم.

- ما هو؟...تفضلي قوليه.

- أرجو أن تقنعوا بما لديكم كلاً في مكانه وعدم التفكير فيما منحت الطبيعة الآخرين ، فبذلك تعيشون في سلام داخلي وأمن خارجي ، وتسير الحياة بشكل طبيعي.

- أمر هام ما تفضلت به جلالتك ، إلا أنه صعب التحقيق لأن الكائن في عالمنا فطر على الطمع وحب الذات وهذه من أهم الأسباب المفضية إلى عدم القناعة والتالي التحول إلى ما يملكه الآخرون.

- أعانكم الله على حياتكم.

- شكراً لك مولاتي على سعة صدرك وكرمك هذا واسمحي لي بالمغادرة.

- إن أحببت الحياة عندنا فنحن ترحب بك كونك قبلت أن تغير من هيئتك وكذلك إن التزمت بكل ما تقدمت.

- أشكرك مجدداً يا صاحبة الجلالة إلا أن ما تقدمت به صعب التحقيق لأن عالمي غير عالمكم وحياتي غير حياتكم ، ولكن أعدك بأن أستفيد وأفيد البقية مما تعلمته عندكم كونكم وبكل يقين تستطيعون أن تكونوا قدوة لبقية العوالم وبالأخص لنا نحن ، لذا اسمحي لي بالمغادرة.

- رافقتك السلامة.

- شكراً مولاتي...قالها وهو يغادر قاعة العرش ليجد تلك الثلة من الحرس بانتظاره حيث اقتادوه باتجاه رئيستهم التي كانت بانتظاره والتي سلمته بدورها للرئيسة الأولى التي رافقته باتجاه البوابة حيث ودعته وعادت.

وما إن صار خارج ذاك المكان حتى أحس بلكزة في خاصرته فتح عينيه ليجد ابن خاله واقفاً فوق رأسه ويمد له يده بسندويش حوا لحماً مشوياً.

## زيارة إلى القرية

أنهى عامه الدراسي الأخير في الجامعة،إذ اجتاز الامتحانات بسهولة ويسر وقدم مشروع تخرجه للأستاذ المشرف ولبث ينتظر النتائج.

مرت بضعة أيام أحس خلالها بالملل إذ لم يحرك ساكنا لذا اقترحت عليه والدته أن يسافر إلى القرية ويمضي هناك بضعة أيام يزور خلالها الأقارب استهلاكا للوقت ريثما تصدر النتائج التي عقد على صدورها آمالا عدة،حيث وعد من قبل هيئة التدريس بأن يرشح أسمه لمنحة دراسية في دولة أجنبية يتابع تحصيله العلمي فيها.

جهز نفسه واستقل ميكروباص قديم صنع في الثمانينات من القرن الماضي بالرغم من أن هيكله العام مقبول وجميع كراسيه تبدو جديدة ومريحة إلا أنه ما إن يعتلي الطريق حتى تبدأ سيمفونياته كقرقعة من هنا وصلّة من هناك وشخرة عادم من تلك الجهة.

كل ما تقدم شيء والآتي شيء آخر حيث تتسرب زوابع من بين الشقوق وتكون أكثر كثافة حينما تختلط بما ينفثه العادم بحيث تصبح تلك الروائح مع مرور الوقت خانقة ومسكرة،إذ تتسلل إلى الجسد منتشرة في خلاياه لدرجة يصبح فيها المرء لا يملك حيلة لمقاومة هذا الانسلال الهادئ والسريان الزاحف للنعاس فيستسلم.

عصرا امتطى حمارا كان قد أسرج لينقل عليه أوعية الحليب إلى مركز الجبان الكائن في آخر القرية على مفرق الطريق المؤدي إلى القرى والمزارع المجاورة.

هز الرسن موعزا للحمار بالمسير لبى الأمر فورا وبدأ سيره بخطا وئيدة بين الأشجار حتى وصلا إلى نهاية الحقل.

سلك الطريق العام متعمدا السير على الوجيبة الترابية تلافيا لأية إشكالية قد تحصل مع السيارات القادمة والغادية.استمر بالمسير حتى وصل إلى منطقة تشكل عقدة مواصلات تتفرع عنها عدة طرق كل في اتجاه قرية أو عدة قرى.وكان الأكثر عرضا هو الطريق الموصل إلى العاصمة والذي يتابع عبر هذه العقدة ليصل المحافظات البعيدة بعضها ببعض.

أدار الرسن موجها الحمار صوب الطريق الرئيسي رغبة منه في القيام بنزهة على هذا الطريق الدائم الحركة،حيث كان يجد لذة إذ يلفت انتباه المسافرين الذين يقومون بإرسال القبل ويلوحون بأيديهم مسلمين.

وكان أكثر ما يفرح قلبه هو وقوف الحافلات السياحية التي تقل زواراً أجانب إلى تلك المدينة التي شغلت الناس عبر التاريخ.

تابع سيره محدثا نفسا قائلا الوحدة شيء جميل إذ تشعرنا بصلابة الأرض تحت أقدامنا لكن لا يوجد في هذا العالم شخص وحيد بالمطلق وخصوصا خلال النهار حيث الزملاء والأصدقاء والأهل والأقارب لكن ما أن يأتي الليل حتى تتهشم تلك القشرة الصناعية الصلبة محولة الحياة من نغم سريع شجي إلى شلال حزين يدفع بك ويقودك ليخرجك من تلك الحالة ليجعلك تطلب الدفء في حضن حنون ويد حانية.

حان وقت الغروب وكان ما يزال يتابع سيره شاردا وبدأت الطبيعة باستعجال تحاول إنهاء تلك اللوحة المسائية،حيث ظهرت تلك الغيوم كجبال ذهبية تصدر بريقها المائل للحمرة مفسحة المجال لغسق أحمر بالظهور كوشاح لف عنق شقراء بيضاء البشرة.

أما الطيور بأنواعها فقد بدأت بالعودة إلى أعشاشها أسرابا مودعة تلك الحقول المعطاءة ... وكل ذلك تم بالمراسم المعتادة لدى الطبيعة التي تجاهلت تلك الأكوام المسماة بشرا والتي عاثت بالطبيعة فسادا طيلة يومها.

أنزل عينيه مستطلعا الطريق اللا متناهي ومن ثم حول نظره نحو الجهة اليمنى المجاورة للطريق،وبعدها إلى الجهة اليسرى فلفت انتباهه زوبعة غبار تتصاعد من مسافة بعيدة في قلب الحقل الواسع.

أدار حماره وقصد تلك الجهة التي يتصاعد منها الغبار.

حث الحمار ليسرع الخطا حتى وصل وكان مشهدا مؤثرا إذ وجد سيارة محطمة ورجلا متوسط العمر ملقى بالقرب منها.نزل عن الحمار وقصد الرجل وقلبه جاسا نبضه مستمعا إلى دقات قلبه التي لم يسمع منها شيئا.دقق في حيثية النبض أكثر ولكن دون جدوى قرب خده من أنف وفم هذا الرجل آملا أن يحس أي أثر يدل على أنه ما زال على قيد الحياة إلا أن القدر كان قد سبقه ولعب لعبته.

وقف وتلفت حوله في كل الاتجاهات عسى أن يرى أحدا لكن دون جدوى.إذ كانت تلك المنطقة وكما يقال قفراء نفراء.

توجه نحو السيارة متفحصا باحثا فيها عن أشخاص يمكن تقديم شيئا عندها تأكد أن هذا الرجل كان مسافرا بمفرده.

وبينما كان يستطلع المكان لفتت انتباهه حقيبة سوداء كالتي يحملها رجال الأعمال.حملها ووضعها في الخرج على ظهر الحمار وعاد من حيث أتى بعد أن قام بتفتيش الرجل باحثا عن أي شيء يدل على شخصيته.

وبالفعل وجد محفظة نقود كانت تحتوي على هوية شخصية وإجازة سوق ومبلغ من المال بالإضافة إلى أوراق أخرى.

دقق في الهوية قليلا وعندما حفظ اسم هذا الرجل أعادها إلى مكانها،ثم أعاد المحفظة إلى جيب الرجل الداخلية وغادر.

وصل القرية مساء وكان القمر قد تسلق معتليا برج السماء.فبدا وكأنه قنديل علق بغصن شجرة عملاقة في ليلة حالكة الظلمة، حيث بدت الأشجار تتشابك أغصانها وبعض ثمارها المتدثرة بغطاء أخضر متألقة كأطياف ساحرة.

توقف مفتشا عن مكان في البستان يخبئ فيه الحقيبة حتى يتسنى له فتحها ومعرفة ما بداخلها.

وبالفعل رأى في الطرف الآخر من البستان كومة أحجار كانت قد جمعت أثناء زراعة هذا البستان.

أزاح بعضها صانعا حفرة وضع فيها الحقيبة ثم أعاد الأحجار إلى مكانها.وبعدها نفض يديه وقاد الحمار نحو الإسطبل .

وبعد أن نزع عنه السرج ربطه أمام المعلف وغادر قاصدا المنزل.

استغل انشغال أقاربه الذين كانوا في غرفة الجلوس والمطبخ وقصد المضافة حيث جهاز الهاتف.عندها رفع السماعة ثم أدار القرص طالبا الإسعاف محددا مكان وقوع الحادث ثم أغلق السماعة وكأن شيئا لم يكن.

أمضى طيلة تلك السهرة ساهما مفكرا إلى أن حان موعد نوم الأسرة التي اعتادت ومن زمن بعيد على النوم باكرا لمباشرة عملها باكرا.

وما أن تأكد من استغراق الأسرة بكاملها في النوم حتى تسلل خارجا وجلب الحقيبة إلى الغرفة.

حاول فتحها لكنه فشل في ذلك كونها وبالإضافة إلى الأقفال كانت تحوي قفلا رقميا عندها قصد المطبخ وأحضر سكينا كبيرا وبوساطته قام بخلع الأقفال ليرى العجب ...! إذ كانت مليئة برزم نقود متنوعة أجنبية ووطنية قدّر محتواها بأكثر من مليون دولار.

أغلقها ثم وضعها في كيس كبير وجده في أرض البستان وأعادها إلى مخبئها

وفي صباح اليوم التالي سمع لغطا و حوارات وتهامسا في المضافة.استفسر عن الأمر فردوا عليه قائلين: إن هناك حادثة وقعت ليلة أمس وقد راح ضحيتها رجل من محافظة بعيدة نقله المسعفون إلى المشفى وكذلك تم نقل السيارة إلى مركز الشرطة بواسطة رافعة

جلس تحت شجرة وارفة الظلال وهو يحتسي كأسا من الشاي وكان يتلفت بين الحين والآخر نحو كومة الأحجار مفكرا بالمبلغ الذي أصبح في حوزته.

سرح بأحلامه إذ أنه سيغادر إلى العاصمة ويبتاع بيتا واسعا ثم يلزم والدته بأن تحيل نفسها إلى التقاعد.

وبعد أن ينال شهادته سيكمل دراسته في الخارج مستغنيا عن المنحة التي كان قد وعد بها.

وبعد أن حصل على الموافقات من الجامعة التي سيلتحق بها، وكذلك كل الموافقات الأخرى،

عندها استقل الطائرة وقام بربط حزام الأمان بناء على تعليمات المضيفات الحسناوات والمبتسمات دائما قبل إقلاع الطائرة التي درجت عجلاتها على مدرج المطار ثم طارت .

وبينما كان يراقب الأرض من الأجواء عبر النافذة اهتزت الطائرة بشكل عنيف. وعلى الفور صدح صوت المضيفة وهي تقول لقد تعرضت طائرتنا لعطل فني يقوم المهندس ومساعدوه بإصلاحه لذا يرجى الالتزام بالهدوء وانتظار التعليمات.

ارتبك كبقية الركاب الذين دب الذعر فيهم وأخذوا يرددون الأدعية والتوسلات طلبا للنجاة.

إلا أن الطائرة عادت واهتزت اهتزازا أعنف من السابق ثم هوت.وعندها اصطدم رأسه بشيء قاس

فتح عينيه على صوت السائق وهو يشتم راعيا يعبر الطريق بغنماته دون اكتراث،مما أجبر السائق على فرملة باصه بشكل مفاجئ

لمس جبهته حيث أحس بورم مؤلم أصابها نتيجة تلك الصدمة.

هز رأسه وحمد الله على أنه كان حلما.

تطلع من النافذة ليجد نفسه في البقعة التي انقلبت فيها السيارة. وكانت مصادفة .....و يا لها من مصادفة

وصل بيت خاله الذي كان باستقباله مع أفراد عائلته وأمضى بضعة أيام في رحاب تلك الطبيعة الزاخرة بشتى أنواع المزروعات من شجر وزهر وخضرة

## الرحلة الأخيرة

الوقت فجر كانت الشمس تشرق على حدود الأرض فوق الحقول والجبال بقممها العالية المغطاة بأشجار كثيفة والتي تحيلها الطيور إلى مسارح تشدو من عليها وفوق كل ذلك كانت السحب تأخذ أشكالا غريبة تحجب نورا يحاول شق طريقه ليغسل غبار النوم عن وجه الطبيعة.

في هذا الوقت جدت سيارة أجرة أقلته مع عدد من المسافرين على الطريق الموصل من بلدته الصغيرة إلى العاصمة ليلتحق بجامعته حيث أنهى سنوات دراسته منتظرا صدور النتائج.

ولطول المسافة التي قطعوها تسلل النعاس إلى جفون الركاب الذين غلب على معظمهم النوم الذي انتقلت عدواه إلى السائق حيث بدأت ترتخي أعصابه وأصبح المقود يتحلل شيئا فشيئا لتقود السيارة نفسها مترنحة يمنة ويسرة. ولحسن الحظ أن الطريق كان في هذا الوقت خاليا.

استمر الحال هكذا برهة استسلم السائق وقتها لسلطان النوم وأرخى يديه عن المقود مما زاد في ترنح السيارة أكثر فأكثر، بحيث أخذت تجتاح الطريق من أقصى يمينه إلى أقصى يساره.

وفي غفلة الزمن تلك ظهرت شاحنة تئن تحت وطأة حملها الثقيل الذي هد كاهلها. ولطول المسافة التي قطعتها سيطر التعب والنعاس على سائقها الذي فوجئ بعد أن فات الأوان بسيارة الأجرة تظهر أمامه.

حاول جاهدا التحكم بسيارته لكن ولثقل ما تحمله لم يتمكن من تفادي تلك السيارة التي اصطدمت به وانقلبت على يمين الطريق قلبات عدة بعد أن قذفته مع من كان داخلها خارجا.

تصادف مرور سيارة حكومية أثناء ذلك وكان سائقها يحمل جهاز اتصال لاسلكي ليتواصل مع إدارته وعن طريقها تم طلب سيارات الإسعاف التي حضرت مع السلطات المختصة إلى مكان الحادث، حيث أسعف المصابون.

أمام المشفى تجمع رهط من أهالي المصابين الذين أذهلهم الحادث مستفسرين عن حال أقاربهم.

صدم من صدم بخبر وفاة قريب أو عزيز، وتنفس الصعداء من أبلغ أن من يخصه مازال على قيد الحياة حتى وإن كانت إصابته بليغة.

وضمن أقسام المشفى المختلفة تسارعت وتيرة حركة العاملين من أطباء ومستخدمين إذ يبذل الجميع أقصى جهدهم لتقديم العون للمصابين والتخفيف عن آلامهم.

شغلت غرف العمليات ودبت الحركة فيها إذ يخرج منها المصابون إلى غرف الإنعاش ، ومن كان عمره قصيرا أدخل البراد مثلما حدث معه إذ حسب من تعداد المتوفين عند نقله من مكان الحادث.

" ظلام كثيف برد شديد إن عظامي وكل عضو في جسدي يرتجف .....
أين أنا ..... ؟ ما هذا الصمت ..... ؟ ما هذه البرودة التي تحملها تيارات لا أدري من أين مصدرها.....؟
برودة تلف جسدي وتزداد الحرارة هبوطا أكثر فأكثر لدرجة شعرت أن أنفاسي أخذت بالتباطؤ وأن كل جزء من جسدي بدأ ينفصل ويتحرر ويذهب كل في اتجاهه.....
إني أتلاشى ..... أتبخر...."

" مهلا ..... إني أسمع وقع خطوات تقترب ..... أسمع أصواتاً ..... وأميز أحدهم يقول موجها كلامه لعدة أشخاص:

- كم شخصاً هنا؟
- خمسة.
- هل تأكدتم من الحالات؟
- نعم بالتأكيد.

و فيما هم يتكلمون قررت أن أنبههم ليعرفوا إني هنا ولم أزل حيا أصرخ رافعا صوتي أكثر بكل ما أوتيت من قوة ..... أنا هنا يا بشر .... يا سادة .. لم لا يرد أحد لماذا لا ينتبه لوجودي أي منكم ..... أولول..... ولكن عبثا لا أحد يجيب. "

- يجب تسجيل بياناتهم لنراسل ذويهم قالها ذاك الشخص.

- نعم هذا أفضل وأسلم .

" أعيد الصراخ والعويل....الجدال مازال دائرا هناك. أصيح وكأني أرسل صوتي في صحراء خالية فيذهب كل صراخي وعويلي أدراج الرياح..... "

- هات البيانات واتبعني بل اتبعوني جميعكم.

" يا ناس ... يا بشر... إني أستنجد ....هل من يسمع ... ألا أحظى بمن يحس بوجودي...لا أحد يرد وتصمت القاعة بحيث لم أعد أسمع أي صوت أو حركة."

" أحس بالنعاس .... بالتلاشي .... بالذوبان .... أشعر بالبرد ينخر عظامي التي بدأت تتخدر شيئا فشيئا لدرجة أني فقدت الإحساس .... إني أشارف على التجمد بحيث بدأ جسدي يتخشب قطعة تلو الأخرى ..... ماذا أفعل ..... ؟ "

" أسمع خطوات قادمة ... دبت الحياة في جسدي من جديد .... تحفزت قائلا: سأصرخ لأنبه القادم .... صحت .... ناديت .... ولكن دون جدوى. "

" أسمع صرير الأقفال وإغلاق الأبواب و صوت شيء يدار ليبدأ أزيز مجهول يزيد من شدة برودة ذاك التيار الذي أحسبه قادما من القطب الشمالي .... أحاول درء نفسي منه خلف جدران تلك الحجرة الضيقة دون جدوى ..... أحاول الهرب مستندا إلى جدران الحجرة .... لكن عبثا ..... إذ كلما اقتربت منها ابتعدت أكثر ...."

" أشعر وكأني ألقيت من طائرة وسط القطب إذ كل شيء كان باردا الأرض والهواء ."

" يا إلهي ماذا أفعل هل أصبحت بلا حيلة هل صرت مهملا لدرجة أنّ لا أحد يسمع صراخي ويحس بحركاتي ..... أمن المعقول أن أحدا لم يحس مجرد الإحساس بوجودي ."

" يا بشر يا ناس أنا هنا واشعر بوجودكم .... تابعوا تفقد الأقفال .... أسمع حركتهم .... أريد أن أخرج وأكلمهم لكن دون جدوى إذ كل محاولاتي تذهب سدى ."

ينساب الهواء البارد ليلفح وجهي وكل جسدي وكأني أقف أمام نافذة تقع في بناء عال شيّد في منطقة جبلية في فصل الشتاء.....

أصرخ يا ناس أوقفوا هذا الهدير بحق السماء. أغلقوا هذه النوافذ التي تنفث هذا الهواء الثلجي الذي يزيد من تصلب جسدي وانكماش جلدي الذي استنفذ مراحل مرونته فكاد أن يتشقق ....

يا إلهي أحس أن فوهتي أنفي وفمي ستسد بندف ثلج هذه التي تعيق تنفسي ....

أحاول إزاحتها بيدي لكنها لم تطعني ...أنفخ عليها بفمي دون جدوى ...أشعر أن الهواء يرفض مغادرة فمي.

يا إلهي ما هذه الورطة.... لم أنا هنا ؟..إذ كل ما أذكره أني كنت مسافرا في طريقي إلى العاصمة عندما بدأ النعاس يداعب جفوني ليغلبني النوم .....

ولم أحس إلا على زعيق عجلات وصوت اصطدام وقرقعة حديد

" هذا كل شيء ... يا إلهي هل تحولت سيارة الأجرة تلك إلى طائرة شراعية تحوم فوق صحراء سيبيريا ..... ما الذي حدث ..؟ ماذا علي أن أفعل .... ؟

أأصرخ؟ ...سبق وفعلت ولم يجبني أحد حتى الأشخاص الذين كانوا بقربي لم يستجيبوا ... يا إلهي يا مستجيب الدعاء يا سامع النداء خذ بيدي "

أشعر بالخدر يتسلل إلى أنفاسي التي أخذت تنساب متسللة من جسدي لدرجة أني بدأت أشعر بأن وزني بدأ يتلاشى ويتلاشى ..... أصبحت بلا وزن كرائد فضاء خرج من قمرته .....

.... أطير أحلق أسبح في فضاء ماسي تشوبه بين الفينة والأخرى أشعة صفراء ما تلبث أن تتحول إلى قرمزية ثم إلى رمادية فاتحة .....

أسبح .... أطفو ... أرتفع .... أشعر بأن هناك قوة خفية تسحبني علوا ... أستسلم إذ لا حول لي ولا قوة ... ألم أفقد وزني ؟... ألم أعجز عن إثبات وجودي ؟ ... أشعر بارتياح داخلي يجتاح كياني ويتملكني ...أنا سعيد ... أطير من السعادة كطفل يلهو أمام منزل ذويه ..يركض في كل الاتجاهات ... يقفز ... يتدحرج على عشب الحديقة ويقوم بحركات بهلوانية ... يقف على يديه .. رأسه للأسفل .. ورجلاه تداعبان الحياة ... اشعر أني

أستطيع أن أفعل كل شيء ... أقدر أن أتحلل من كل القيود والحواجز ... أحس أنني قمت بتحطيم هذه الجدران التي سجنتني فترة طويلة .....

تحررت من كل شيء ... الأمر الوحيد الذي لم أستطع التحرر منه هو هذا التيار البارد الذي يحملني في طياته ويجوب بي في كل الاتجاهات .....

وبنفس الوقت أشعر بأني أستطيع التحكم به وبحركته كحصان أسلمني لجامه وأصبح طيعا يركض خببا صاعدا في طريق فرش بالقطن الندي .....

أسمع وقع حوافره عليه منتظمة عالية.....

أخذت وتيرتها تخف تدريجيا ..... بدأت أحس وقعها داخل جسدي ..... في جميع عروقي ... كصدىً يرجع لنقر عازف ماهر على غشاء طبلة سدت فوهتها بقطعة شاش تسحب النبرة منها وتمتصها لتصبح أكثر وهناً .....

أشد لجام حصاني وأصعد مع تيارات الهواء البارد .

أصعد ... أسمو ...أرتفع ... وكلما صعدت أكثر ازدادت نغمات حوافر حصاني فتوراً، لدرجة أصبحت وكأنها رجع صدىً آت من عالم آخر .....

أرتفع أكثر فأكثر ..... كلما علوت بدأت معالم حصاني بالتحول ليصبح في النهاية أقرب ما يكون لبساط الريح ....

أستمر بالصعود ... وكلما توغلت صعودا كبرت قدرتي على التحرر إذ أصبح كل شيء يشكل عبئاً علي..... حتى ملابسي التي بدأت أتحرر منها قطعة إثر قطعة مع ازدياد ارتفاعي .... أصبحت عارياً تماماً ...

خجلت حين نظرت إلى جسدي إذ ألفيته مغايراً بحيث اختفت كل المعالم التي كانت تميزه وأصبح ناعماً طرياً ....

ومع ازدياد الارتفاع والسمو بدأ جلدي يزغف شعيرات قطنية أخذت تنمو وتكبر اطراداً مع الارتفاع ، إلى أن اكتسى جسدي قطناً ناصع البياض ستر كل معالمه وأصبحت مثل طائر خرافي ....

تلمست وجهي فوجدته مغطىً بالقطن كجسدي ....

أستمر بالصعود ملتصقا ببساطي الذي تحمله تلك التيارات الباردة التي أحسست بصقيعها رغم لباسي القطني ....

أستمر بالصعود ويستمر تلاشي وزني أكثر فأكثر. وكلما تقلص وزني أصبحت حركتي أكثر يسرا وأثناء ذلك لم ألحظ أي شيء وكأنني أسبح في فضاء لا معالم فيه إلى أن وصلت إلى حاجز أقرب ما يكون لستارة سميكة وكأنها حيكت من خيوط لا ملامح لها تخفي ما خلفها....

اجتزت الحاجز بسهولة لأجد نفسي فوق طريق اكتست حوافه حللا خضراء يانعة....

أتـابع الـسير صـعودا وكلمـا توغلـت أكثـر ازدادت سـماكة وطـول الخـضرة المحيطـة بـالطريق إلـى أن أصبحت شبه شجيرات..... ما لبث أن أصبح الطريق وكأنه يخترق غابة كثيفة الأشجار ذات مظهر خيالي لم أر مثيلا لها من قبل.....

أستمر بالصعود ..... بدأت الأشجار بتزيين نفسها بزهور مختلفة الأشكال والألوان وكلما ازددت صعودا ازدادت الزهور كثافة إلى أن غطت الأشجار بأكملها .... يا الله .... ما الذي أراه مشاهد لم ألحظ أو أسمع بها من قبل..... ما هذه الألوان يا خالق الأكوان ..... كل شـجرة لبـست ثوبـا وتألقـت أكثـر مـن جارتهـا كـأنهن عارضـات فـي حفـل أزيـاء كلهـا مـن تـصميم مبـدع هـذا الكون....

أستمر صعودا وكل شيء يزداد جمالا وفتنة. وكذلك كانت حرارة الجو من حولي تزداد برودة كلما صعدت أكثر....

البرد والمناظر الخلابة سلبت مني كل حس وكل شعور أوجده الخالق بي....

أستمر صعودا مع ازدياد ذهولي حتى وصلت إلى الحاجز الثاني الذي اتصف بالإضاءة والشفافية أكثر من سابقه ....

تحيرت وسألت نفسي ما أنا فاعل في هذه المرحلة. تريثت قليلا ولكن القوة التي حملتني سابقا دفعت بي إلى اختراق وتجاوز هذا الحاجز أيضا لأتعرّف وأستكشف ما الذي يخفيه خلفه. ... تبدى لي وجود مسالك عدة تحفها الأشجار وعرائش الورود التي أضفت على هذه الفسحة نداوة وعلى هوائها طراوة بحيث تحالفت كلها مع كثافة الظلال لتفاقم برودة الهواء من حولي.

صعدت أكثر.... ولأول مرة أشاهد كائنات تتحرك على تلك الدروب.... اقتربت منها، ومع اقترابي أخذت معالمها تتوضح أكثر. ... بدت أكثر شبها بالبشر.

اقتربت منهم أكثر فشاهدت مجموعات تحث السير على تلك الطرقات وكل طريق اختص بنوع من البشر....

... رأيت على الدرب الأول بشرا لفوا أنفسهم بقماش قطني أبيض، وفي الدرب الثاني كانوا يرتدون ملابس رسمية جدا. أما الثالث فكانت أجسامهم من رماد جمع ليشكل هيكلا بشريا. أما الرابع فكانوا مختلفين عن سابقيهم تماما....

عدت إلى الدرب الأول لأراقب وأتمعن بالوجوه فوجدتها شاحبة، وكلما توغلت صعودا ازداد شحوبها إلى ما لا نهاية. وهذا دليل على مرور الزمن عليها...

أستمر في صعودي بعد أن راقبت الوجوه على كل الطرقات فرأيتها كمثيلتها على الدرب الأول حتى وصلت إلى الحاجز الثالث وكان أكثر شفافية وضوءاً من سابقيه.... ولكن الذي أدهشني هنا أني رأيت شيئا لم يخطر لي على بال ولم أكن قد فكرت فيه سابقا....

شاهدت مجموعة أبواب مغلقة في هذا الحاجز اختص كل منها بمجموعة متشابهة بالمظهر ممن رأيتهم سابقاً أثناء صعودي بحيث اصطف كل المتشابهين خلف بعضهم حسب قدمهم على ناصية الباب المخصص لهم...

اقتربت من أحد الأبواب أكثر فوجدته مغلقا لا يفتح إلا عندما يصبح عدد من يقف أمامه كافيا كما نشاهد أمام الصالات الكبرى عادة ....
انتقلت طائرا فوق الأبواب الأخرى التي كانت تعمل بنفس الطريقة وعلى نفس المنوال والفارق البسيط يبنها هو اختلاف ملامح المجتمعين ومظاهرهم الخارجية.

يا إلهي لم هذا التجمهر؟.. لم...أيحتشد كل هؤلاء أمام هذه الأبواب؟
سألت الكثيرين ولكن لم يجبني أحد بل تابعوا سيرهم كل على دربه وباتجاه الباب المخصص دون أن يعيروني أي انتباه وكأني كنت أكلم منومين.

سبحت فوق جمهرة ولجوا أحد الأبواب فتبين لي أنهم يتجمعون في ساحة أودى إليها الطريق القادم من الباب.

حاولت أن أستطلع الذين يدخلون عبر الأبواب الأخرى وكان عجبي كبيرا ...

شاهدت الشيء نفسه يتكرر في الساحات التي تصلها تلك الدروب من الأبواب ....

عدت إلى الساحة الأولى سابحا فوقها لأعرف م...ا يفعل هؤلاء .... هناك لم أر شيئا تجاوزتهم حتى وصلت إلى نهاية الساحة حيث وجدت ستارة لها عدة أبواب مغلقة.....

تجمع أمام كل باب بشر لهم نفس الصفات الخارجية ولكن كل باب وقف أمامه صف طويل من بشر لهم مواصفات خاصة حيث ومن خلال مروري بهم تبين أن الذين تجمعوا أمام الباب الأيمن كانوا يتمتعون بصفاء وجه وهدوء طبع ونظرة رائقة.....

اتجهت يسارا لأرى في التجمع هناك بشرا شحبت وجوههم وقلقت نظراتهم واضطربت أبدانهم....

سبحت فوق جميع الساحات ويا لشدّة عجبي ... رأيت هذا النظام ينسحب على جميع الساحات حيث كان الفرز والاصطفاف واضحا....

يا إلهي ما هذا البرد القارس وكيف انقلب الجو هكذا. كل ما أذكره أني كنت مسافرا في طريقي إلى

العاصمة وكان الجو خانقا حتى في تلك الساعات الأولى من الفجر كعادتها في مثل هذا الوقت من السنة....
من أين تأتي هذه التيارات الباردة وأي فم ينفث عليّ كل برد الأرض والسماء .....

و بينما أنا أسبح طائرا فوق رؤوس تلك التجمعات حاولت أن ألتقط شيئاً مما يتناولوه ويتبادلونه فيما بينهم وإذ بي أسمع غمغمة بل غمغمات بلهجات عدة لم أفهم منها شيئا ... كانت كل مجموعة تغمغم على طريقتها.

توغلت صعودا متجاوزا هذه الجموع وذهبت لأمر فوق ساحة احتشد فيها من يرتدون الزيّ الرسمي. اقتربت من الباب الأول من جهة اليمين و...ا بي أشاهد وجوها صافية مبتسمة رائقة اللون وهادئة.

اتجهت يسارا حيث أخذت الوجوه تشحب والملامح تضطرب والتصرفات تتغير، ... يزداد التذمر والاضطراب كلما اتجهنا يسارا بحيث تظهر الوجوه كأنها ركبت بالعكس.

ازدادت برودة الجو ولفتني تلك التيارات أكثر ... تسارعت حركة الهواء الذي يحملني بين طياته صعودا أكثر فأكثر، حتى تجاوزت ذاك الستار سابحا فوق من عبروا الأبواب من كل التجمعات. حيث سار كل في طريق بل في طرقات أفضت إليها هذه الأبواب. ... كان لزاما على كل من يلج الباب أن يسلكها. وبدت الطرقات

متفرعة كأغصان شجرة كانت ستبدو عارية لولا إرادة الخالق الذي يحب الجمال ...
زغفت عليها براعم أخذت بالتكاثف كلما تقدمنا أكثر حتى يصير حالها كحواجز تفصل رواد الطرقات عن بعضهم بعضاً.

تابعت من يسلكون إحدى تلك الطرق صعودا حتى نهاية المطاف. حيث أدى الطريق إلى ساحة كبيرة كثيرة الشبه بالساحات التي رأيتها سابقا ... كان يحدها ساتر أكثر شفافية وضياء من السواتر التي عبرتها في السابق وكذلك شاهدت هنا عدة أبواب وزعت على طول الساتر حيث تجمهر أمام كل باب منها أشخاص لهم نفس الملامح الخارجية ولكن ما أن اقتربت أكثر حتى رأيت الفرق واضحا في الملامح بين كل من تجمعوا أمام هذه الأبواب ... كان الذين يقفون أمام الباب الأول الأيمن يتمتعون بأبهى طلة وأصفى نظرة ونفس رائقة.

وكلما اتجهت يسارا بان الشحوب أكثر وكذلك الاضطراب أوضح وغيرها من تصرفات ليست بالمريحة.
تكاثف على جسدي شلح من ثلج ... كلما ازداد ارتفاعي زادت برودة الجو ليلفني و يغلفني بالكامل وبذالك رأيت كيف تتشكل التجمعات تلقائيا وأمام الأبواب المنتشرة على هذه السواتر.

وفي كل مرحلة كانت الدروب التي تفضي إليها تلك الأبواب تحف بها الأشجار من الجانبين فتحجب بذلك رواد الدروب عن بعضهم بعضاً .

ازداد فضولي لذا سموت أكثر متجاوزا الساتر الرابع سابحا فوق هذه الأرتال المتراصة ... توحدت الملامح في كل درب على حدة فبدا المنظر من عل كأنه خطوط تنسحب عبر مسالك خاصة.

حاولت محادثة أحد الماشين فلم يعرني أي انتباه . لكزته، تجاهلني. كررت المحاولة مع أكثر من شخص فكانت النتيجة واحدة - تجاهل تام ومثابرة حثيثة في المسير صعودا-

تجاوزتهم طيرانا إلى نهاية الدرب الذي وكالعادة أفضى إلى ساحة مماثلة للساحات التي مررنا بها سابقا. وكذلك كان في نهايتها يقوم ساتر أكثر شفافية وصفاء من سابقيه. وكما في السواتر السابقة صادفت أبوابا مغلقة اصطف أمامها أشخاص توحدت ملامحهم الخارجية. ولاحظت أيضا تقلص أعداد الذين كانوا يتراصون أمام تلك الأبواب كلما ازددنا صعودا .

هذا ما شاهدته أيضا على جميع الدروب التي تفضي إليها تلك الأبواب ... خف الازدحام هناك بعض الشيء.

اتجهت يسارا لأجد تلك الوجوه الكالحة والتي ازداد اضطرابها وتوتر هؤلاء الأشخاص الممعنون في إطراقهم كمن يدفع للسير رغما عنه .

عزمت أن أسبح طائرا فوق الساتر الخامس. ومن عل رأيت المشهد ذاته مع ازدياد الدروب التي كثرت تشعباتها وقل سالكوها أكثر فأكثر ...

تابعت أحد تلك الدروب من بدايته حتى انتهى إلى ساحة يحدها في نهايتها ساتر كالسور العالي . وكان يحوي عدة أبواب تجمع أمامها أشخاص موحدو المظاهر الخارجية مع اختلاف في الملامح الشخصية ...

فتحت الأبواب ليسير كل في الدرب الذي خصص له. ولكن في هذه المرحلة استطالت تلك الدروب والتفّت في كل الاتجاهات. وكان كل الذين يسلكونها يجدون السير إلى أن تفضي بهم إلى ساحة كبيرة كان يلفها ستار من كل الجوانب. وفي كل جهة منها كانت توجد ثلاثة أبواب تجمع أمام كل منها أشخاص موحدو الملامح الداخلية مع اختلاف مظاهرهم الخارجية ... بدا ذلك للناظر من عل مثل لوحة فسيفساء تعددت ألوانها، حيث التقى الرماد مع من يرتدون الملابس الرسمية ومع من لفت أجسادهم بأقمشة قطنية بالإضافة إلى هيئات أخرى جمعت بينهم ملامح وجوههم وصفاتهم الداخلية ....ومرة أخرى قادني فضولي وحثني كي أتجاوز هذا الساتر وأسبح فوق تلك الساحات.

اخترت ساحة تجمع فيها أشخاص ممن عبروا الباب الأيمن من كل مرحلة. وكانت دهشتي كبيرة ... رأيت وجوها مشرقة ذات نظرات صافية مع ابتسامة دائمة وهي تتجه نحو الساتر السادس حيث هناك الأمل في السمو والترقي.

تابعت تنقلي من ساحة إلى أخرى مشاهدا التجمعات هناك . ... اجتمع في كل ساحة أشخاص موحدو الملامح الشخصية مع اختلاف صفاتهم الخارجية كونهم ولجوا الأبواب المتماثلة في كل مرحلة .

وفي كل ساحة وكلما اتجهت يسارا ازدادت الوجوه شحوبا و اضطرابا انعكس ذلك على تصرفاتهم وغمغماتهم التي كانت تعبر عن مدى تذمرهم .
في كل ساحة مررت بها شاهدت الاختلاف في المظاهر الخارجية. ... كل ساحة حوت كل أصناف البشر صفرا وسودا وبيضا و موشومين و غير موشومين كهولا وشبانا .

هذا ما رأيت في مرحلة ما قبل الساتر السادس حيث كل المقل ترنو إلى هذا الساتر وما بعده، حيث الأمل الكبير بالخلاص النهائي .
إني أتجمد ... ازدادت برودة المكان وتسارعت التيارات تلك حيث قل وزني إلى أقصى حد .

يا إلهي ما الذي أشاهده عبر هذه الدروب وفي هذه الساحات التي تتجمع فيها تلك الحشود الهائلة من البشر. من أين أتت وإلى أين تسير وكيف تفرز تلك الجماعات عن بعضها بهذه السلاسة وكأن هناك قوة خارجية تسيطر عليها و تلزمها بهذا الفرز رغم إرادتها ... يبدو وبكل بساطة أن كل شخص يجد نفسه يسير في درب معين وكأنه لقن تعليمات مسبقة بخصوص ذلك ...

يا إلهي ما هذه القدرة الخفية التي تتحكم بكل ذلك ..!

... كنت فيما مضى لا أصدق هذه الأفكار، بل كنت أرفضها لدرجة أخذت بمحاربتها، ... ترسخت لدي أفكار عن قدرة الإنسان على التكيف والتحكم بمصيره . ... أنه وبعقله يكون سيد نفسه ويستطيع تسخير كل الكائنات الأخرى لمصلحته وكذلك التحكم بكل مصائرها. لأن الانقياد لا يكون إلا للبهائم والكائنات التي لا تفكر .

أنظر نظرة المتمعن في وجوه رواد الطرقات المختلفة فأجد كلاً يسير لا حول له ولا قوة جادا في اتجاه لا يعرف أين يوصله . و عند كل حاجز كانت تتم عملية الفرز حيث تفرز الجماعات حسب الملامح ليتسلق كل الدرب الذي عين له بحيث لا يمكنه أن يحيد عنه قيد أنملة .

وا عجباه من هذه القوة التي تسيطر حتى على أقوى الأقوياء من ملوك وطغاة وحكام جبابرة وقساة وأناس من كل الأصناف وحدتهم جميعا صفة الرضوخ لهذه القدرة التي لا يستطيعون حتى التفكير بمعارضتها .

الكل يسير بحيث وكيفما اتجهت تجد نفس المشهد

برد ، يا إلهي ما هذا الجو الذي أنا فيه حيث تحول هذا البرد إلى مخدر سرى في أوصالي ... بدأت أتخلى عن أجزاء جسدي جزءاً تلو الآخر ليستقل عني وينزوي ويلبد في مكانه كحيوان ركن لسبات شتوي بانتظار الربيع

ازدادت التيارات قوة مساهمة برفعي عاليا أكثر فأكثر نحو فضاء فضي رائع يفتح لونه كلما تقدمنا علوا ليقترب من الماسي....

كل شيء كان يتلألأ لدرجة تبهر معها الأبصار ....

أستمر صعودا حتى أصبح قبالة الحاجز السادس...

ويا لعجب ما رأيت، كان هناك بابان كبيران جدا لدرجة أني تخيلت أنه بإمكان الآلاف أن يلجوها دفعة واحدة.

اقتربت من الباب الأيمن لأجد تجمعا ضم كل الفئات والأصناف. منهم من يلفون أجسادهم بقطن ومنهم من يرتدون المآزر، وغيرهم ممن يرتدون اللباس الرسمي ، وكذلك ممن يضعون قبعات على رؤوسهم، وكذلك من كانت أجسادهم من رماد وفئات أخرى.

اقتربت أكثر لأتبين تلك الملامح. ويا لدهشتي ... رأيت وجوها لم أشاهد لضيائها مثيلاً وإشراقا لا يشبهه إشراق وصفاء وسكينة أخاذة حيث كان الرضا يعمهم ويسلب لبهم.

فضولا مني قررت أن أميل بطيراني يسارا حيث رأيت هناك مشهدا توقعت بقرارة نفسي أن أراه ، وخصوصا بعد أن غادرت تلك الوجوه.

كان هناك بشر بوجوه كالحة كامدة عابسة غائرة المقل. والاضطراب كان يسيطر عليهم وكأن أحاسيسهم قد تنبهت لوضعهم فعكستها على ملامحهم وحركاتهم . ... كانوا يتخبطون ويتدافعون وكل ما يجمع بينهم هو القلق والتوتر المضني.

يا إلهي كيف توحدت هذه التجمعات من كل الدروب والساحات السابقة. ... انحاز كل سالكيّ الدروب اليسارية على حدة واليمينية على حدة. ... وجد في كل تجمع خليط من كل أصناف وفئات البشر قطنيين ورسميين ومن ذوي القلنسوات، وكذلك المآزر وغيرهم أمام كل باب على حد سواء وكان الموحد بينهم هو ملامحهم الداخلية فقط التي بدت منعكسة على محيّاهم وحلتهم.
الكل ينتظر أمام كلا البابين لاجتياز هذا الحاجز وكل أملهم أن يكون الفرج هناك .

أسمع حركة نبهت أعصابي، ... كان يصلني صوت حركة يشبه القرقعة التي أوصلتني إلى هذا المكان البارد.
اقترب الصوت أكثر بحيث أصبح أكثر وضوحاً. ولكن ما لبث أن بدأ يبتعد وكأن من كان يجر هذا الشيء قد قرر العودة مراجعا فكره بحيث مر أمام حجرتي مرور الكرام.

أصرخ...أنادي مستغيثا منبها من في الخارج ولكن عبثا ... لم يسمع ندائي أحد ولا صراخي كذلك.

يا ربي ضع في دربي من يساعدني وينتشلني من مأزقي هذا.

تلاشى صوت القرقعة شيئا فشيئا إلى أن اختفى، حيث ساد الصمت والسكون القاتل ليبدأ توتر أعصابي بالارتخاء تدريجيّا حيث تسلل في هذه المرة الخدر إلى جسدي بسرعة أكبر. ... لم تمض سوى برهة قصيرة لتبدأ أجزاء جسدي بالانفصال جزءا وراء الآخر لينزوي كل منها مستسلما لسبات قد يكون ربيعه بعيد الوصول. حيث لم يزل الأمل برؤية زهرة أو برعم شجرة ضئيلاً جداً إن لم يكن مستحيلاً وكذلك مشاهدة وجه أمي التي ودعتها مغادرا في تلك الرحلة الشهيرة التي أوصلتني إلى هذا الركن البارد بعيدا جدا.

يا إلهي ما الذي يفعله أخوالي وأولادهم في القرية حيث تركتهم؟ وكذلك زملائي في الجامعة ألم يفتقدوني ألم يشعروا بغيابي هل أصبحت نكرة؟

ألم يترك غيابي وحضوري أي أثر عندهم يا ترى!.

ألم يستفسر عني أحد حتى الآن.

برد قارس، تيارات تعصف بي تكاد تقتلعني من مكاني وكأنها عاصفة قطبية تحاول السيطرة على مجموعة مغامرين قرروا سبر غور القطب المجهول...

حملتني هذه الرياح والتي ساعدتها خفة جسدي عاليا كقشة وضعت في مهب ريح عاصفة هوجاء....

ازداد علـوي أكثـر فـأكثر إلـى أن أصـبحت فـوق الحاجز السادس ...

رأيـت العجـب العجـاب هنـاك ... المـستحيل والحلـم أصبح واقعا أمام ناظري ...

حيث لفت نظري وأنا فوق الحاجز تحملني ريـاح الله الباردة ستارا طويلا يقسم ما بعد الحـاجز إلـى قسمين كل منهمـا يفضي إليـه بـاب مـن البـابين الموصـدين بالحـاجز الـسادس. وكـان كـل قـسم منهمـا لا متنـاهي الـسعة ..... جنحت في طيراني فوق القسم الأيمن وكان عجبـي شـديدا ... شاهدت خلقا هنيئا لهم ما أسبغ عليهم من صفات.

الجميـع يلبـسون الأبـيض الهفهـاف وكـل حـسب مـا اعتاد أن يرتدي سابقا وكأن كل أرديتهم قد صبغت باللون الأبيض الناصع.

سرت فوقهم فـي الأفق اللامتنـاهي حيث كـان هنـاك جبـال ضـياء تـصلني أشـعتها كـل حـسب المـسافة التـي قطعتها عبر الزمن.

حيث كلما تقدمت أكثر بدت لي تلك البؤر النورانيـة أكثر وضوحا وأكثر عددا....

وصـلت إلـى أقـرب مـسافة مـن حـاجز هائـل علـوا واتـساعا ... يـصعب علـى بـساطي اجتيـازه بـل ومـن المستحيل حتـى التفكير فـي اجتيـازه. اقتربـت أكثـر فـأكثر منه وكل ظني أنني أصبحت قبالتـه. ركـزت نظـري و...ا بي أتيقن أن ذاك الحاجز لم يزل بعيدا جدا.

أنهكني التعب لذا وقفت قليلا متأملا ما حولي وما هو أمامي. وكان استغرابي كبيرا لأني رأيت دروبا عدة تؤدي إلى ذاك الحاجز.

اقتربت من الدرب الأول من جهة اليمين وإذ بي أرى امرأة وجهها يشع نورا باهرا لم أستطع النظر إليه. رنوت إليها لأشاهد البهاء يكتنفها والوقار يلفها وهي تضم بين ذراعيها وعلى حجرها شابين وبنتاً انبثقت من محياهم أشعة نور سرمدي.

اقتربت أكثر لأتعرف من يكونون. رأيت الشاب الأول وكأن رأسه ركب حديثا على جسده، وأمه تمسح بكفها النورانية الجرح وآثاره حيث كان يسيل منه دم وردي يطلق وهجا وبريقا كذهب صهر حديثا. وإلى وجه أمه كان يرنو بعينين طغت عليهما السكينة والرضا وكأن لسان حاله يقول:كم أنا راض لركوني أخيرا بحجرك أيتها الملاذ

وكذلك استرخى كل من الشاب الآخر والفتاة مستسلمين لرقاد لذيذ في حضن أمهما....

ومن جسم الشاب الأول الذي وبقدرة قادر تحول إلى ما يشبه جذع شجرة لحاؤها أبيض ناصع تشعبت أغصانه فروعا عدة وكل فرع أفرع مرة أخرى وهكذا إلى ما لا نهاية حيث كان هناك فروع انتهت بسموها عند حد معين وأفرع استمر نموها متواصلة مع سالكي الدروب المؤدية إليها من الحاجز السابق ....

وإلى يسار هذه المجموعة المضيئة كان هناك حشود يجدون السير إلى حيث كانت تجلس امرأة ثانية تميزت عن كل مثيلاتها اللاتي لا يقربنها بالصفات سوى التي مررت بها قبل قليل.

كانت المرأة التي ألبست الضياء والنور تجلس وبحجرها وبين ذراعيها شاب بهي الطلعة أزهر تاج الشوك على رأسه زهورا تبرق كنجوم قبة السماء التي لا قمر فيها. حيث أخذت تلك المرأة تمسح عرقه الذي امتزج بدمه المشع والذي أسالته من جبينه تلك الأشواك، وكذلك ما نتج عن الجروح والقروح من أطرافه مبلسمة جراحه بيدها الحريرية التي كانت ترسل نورا سماويا يرأب الجرح المتقرح ويزيل كل أثر له بينما كان ذاك الشاب ينظر إلى أمه بعينين ذابلتين وكل الرضا باد عليه كفارس ترجل بعد غزوة موفقة وركن لراحة طويلة .

وعند قدميها جلس عدة رجال بلغ عددهم العشرة، يرنو كل منهم إلى تلك المرأة ووليدها الشاب طالبين قبسا من نور كتلاميذ جيشوا كل طاقاتهم لالتقاط كل همسة وحركة من معلم فذ كي يدعموا بها رصيدا ليصبح ذخيرة ينشرونها ويبشرون بها لاحقا. ومن وراء كل منهم امتدت سلسلة من بشر بهيي الطلعة وجوههم سمحة. عم الهدوء عليهم لتصل حتى الباب الأيمن من الحاجز السابق .

وإلى جوارهم ولكن ليس ببعيد عنهم بدا لي ضياء وهاج انتشرت أشعته لتضيء على من حوله وكل شعاع كان يبدو للمتمعن كعصا طويلة تقوم بحركات لكل منها فائدة ومأرب.

وعند قدم هذا النور امتدت سلسلة بشرية يرتدي أفرادها الأبيض الناصع. وكانوا يسترون مؤخرة رؤوسهم بقلنسوات صغيرة بحيث امتدت تلك السلسلة منتشرة في دروب حتى الباب الأيمن والنور والهدوء يسيطر على الجميع وهم ينظرون إلى الأفق حيث تبدى النور.

وبالقرب منهم شاهدت تجمعات من بشر مختلفي الهيئة يرتدون الأبيض. وكل مجموعة تحلقت حول هالات نورانية، والكل بمن فيهم تلك الهالات يتجهون بنظرهم إلى المدى المفضي للخلاص. والجميع كانت تعلو وجوههم علامات الرضا والسماحة والسكينة. ولكن بين الفينة والأخرى كانوا يحولون أنظارهم إلى السلاسل المجاورة وكأن لسان حالهم يقول لمَ لم ننضم إلى تلك التجمعات من قبل ...اً لكنا أكثر تماسكا وأشد تلاحما وأعظم أمنا

أشعر أنني نسيت البرد الذي خدر جسدي وأني في حضرة شمس أشرقت علي وأنا في غفلة. ... بدأت أجزاء جسدي تتجمع بهدوء كأطفال تحلقوا حول جدتهم لتروي لهم قصصا تسلب شعورهم وإرادتهم فيزدادون اقترابا وتراصا.

دفعني الفضول للاطلاع على من تجمع على يسار الساتر العرضي الذي يقسم تلك الساحة الكبيرة .

يـا إلهـي مـا الـذي أراه فسحة لامتناهيـة حـوت بـشرا بملابـس عاتمـة سـوداء مهلهلـة مـن كـل أصـناف البـشر فالقطنيون هنا انـصبغت كسوتهم بالأسود الكـالح. وكذلك الرسـميون كـانوا يرتـدون بـدلات سـوداء مهلهلـة رثـة. وكـذلك كـان مـن يـضعون القلنسوات حيث بـدت هيئـاتهم مهترئة و قلنسواتهم التـي عمـل فيهـا الـزمن. والعث فعلا بدت آثاره جلية.

وكـل فـصيل مـن هـؤلاء المتجمعـين فـي هـذا الفنـاء الواسع امتد كسلسلة صدئة من الأفق حتـى البـاب الأيـسر خلف مجموعـة علت ملامحهم العلل والشحوب المميت والصفرة المهلكة بحيث بـدت نظـراتهم يائسة نحـو الأفق آملين أن يكون هناك خلاص يبعث الرضا

برد قارس .... لكني أشـعر بجسدي وكـأن الخـدر قد زال منه وأنّ الوزن قد بدأ يسترد شيئاً فشيئاً.

البـرد يعـم الحجـرة والتيـارات تـسري بحيث وصـل لمسامعي صوت ذاك الأزيز. وفجأة بـدأت أسمع صـراخاً وعويلاً يصدر عن عدة أشخاص من خارج هذه الحجرة. أستطيع تمييز صوت أمي.

يـا إلهـي...هـذه أمـي، ...ا الفـرج بـات قريبـا لـذا سأصرخ وأنادي وأتخبط عسى أن ألفت انتباههم. وبالفعل قمت بذلك لكن عبثاً.

مـا هـذا؟ أسـتطيع أن أميـز هـذا الـصوت عـن بقيـة الأصوات. إنه ذاك الشخص الذي حضر منذ فترة وطلب من الباقين تسجيل البيانات. أميزه جيدا إني أعرفه.

أصرخ وأنادي أنا هنـا...أنـا موجود يـا بشر يـا نـاس ولكن عبثاً."

- من هو ولدكم ما اسمه؟قالها صـاحب ذاك الـصوت المميز.

أعطوه اسمي بالتفصيل.

- هل ستعرفونه إن رأيتموه؟

- نعم إنه ولدنا كيف لا نعرفه! أجابت أمي باكية.

- أين السجل يا هذا؟

- هذا هو .

- وفي أي حجرة وضعتم ولدهم؟

- هنا في الحجرة الخامسة.

- افتحها

- حاضر.

" أسـمع حركـة القفل وصـرير المقبض حيـث انفتح البـاب لتـدخل علـيّ نـسمات دافئـة أشـعر بهـا وأحـس أن الأرض قد بدأت تتحرك من تحتي.

أقـاد نحـو ذاك الـدفء رويـداً...رويـداً حتـى أصـبح الدفـء يعم جسدي بالكامل.

صرخت أمي:ولدي يا فلذة كبدي.
صاح خالي:هذا هو. واقترب. أسمع وقع خطواته على الأرض.

أصرخ وأنادي خالي أمي أنا حيّ. انتبهوا إليّ انظروا جيدا."
اقترب خالي أكثر فأكثر لدرجة شعرت بأنفاسه تلامس وجهي وفجأة صرخ قائلاً:

- ما هذا يا جهلة ما الذي فعلتموه؟ إنه حي ويتنفس.
تراكض الجميع . عرفت ذاك من خطواتهم.
- ما الذي تقوله يا سيد قالها صاحب الصوت المميز.
- اقتربوا أكثر وانظروا هناك تكاثف بخار أمام فتحتي أنفه وهذا دليل على أنه يتنفس.
- ما هذا دعني أرى. واقترب صاحب الصوت الشهير أكثر حيث أحسست بأنفاسه.
- استدعوا الطبيب المناوب فورا.

ركض الجميع وعم الصمت المكان وكأني أرى الدهشة على وجوههم كمن ألقي عليه فجأة سطل ماء بارد.
حضر شخص ووضع شيئا على صدري وقام بفتح عينيّ بإصبعيه ليدخل قبسا محجريها.
نقل ذاك الشيء على صدري عدة مرات وفي أماكن مختلفة.رفع ذاك الشيء وصرخ فجأة.

- أحضروا النقالة فوراً وإلى غرفة الإنعاش بأقصى سرعة

أشعر أني أرفع بواسطة كلاليب قاسية ومن ثم أوضع على شيء أقل قساوة مما كنت أركن عليه قبل قليل .

تحركت كل الحجرة التي كنت فيها، ... بدأ الجميع بالركض والتهامس من حولي وأنا أدفع إلى مكان عمه الدفء الذي بدأ يتسلل إلى جسدي شيئا فشيئا كما أنه قد تم وضع شيء على أنفي مرر تيارا باردا لكنه منعش.

تغلغل في نواحي جسدي ممعنا في ذلك لدرجة أحس أنه أخذ يصل إلى كل خلية من جسدي وبالأخص دماغي. لأني بدأت أشعر بصفاء في تفكيري وكأن تلك الغمامة انزاحت نهائيا ليصبح كل شيء واضحاً في مخيلتي .

ركب على جسدي أشياء كثيرة حيث ثبتت يداي ورجلاي كما أنه تم توصيلهما بأنابيب وأشياء كالحبال انتشرت فوق أنحاء جسدي إلى مكان مجهول.
أسمع صوت صفير خفيف متقطع واهن.

" راقبوه جيدا أعيدوا كل ما قمنا به دوريا لنتأكد من سلامة أعضائه." قالها الطبيب.

أصرخ به أنا حي وبخير. اسألني أجبك لكن لا فائدة.
أسمع حركات وخطوات لأشخاص عدة وأبواباً تفتح وتغلق .... وفي كل مرة تفتح فيها تلك الأبواب كنت أسمع صوت أمي وخالي وهم يلحون بالسؤال والاستفسار عن حالتي، ويبدأ النحيب والدعاء.

بقيت هكذا فترة من الزمن ليست بالطويلة وفجأة يفتح الباب ليدخل عدة أشخاص.

أسمع صوتاً يسأل كيف الحال يا دكتور؟
- وضعه مستقر وكل شيء يبشر بالخير.
- حسناً يجب إجراء كل الفحوص اللازمة وكذلك الصور الشعاعية لنقرر ما نحن فاعلون.
- تماماً يا دكتور.خذوه إلى غرفة التصوير لإجراء اللازم.
وبالفعل شعرت بتلك المقابض تلتقط أطرافي وجسدي بعد أن أزيلت تلك الحبال عن جسمي بحيث لم يبق سوى ما كان قد ثبت على أنفي. وهذا ما أسعدني لأنني ارتحت لهذا التيار الذي يبثه ذاك الجهاز فيّ وكأنه إكسير الحياة.
سارت بي عربة كانت أكثر طراوة ونعومة بحركتها من سابقاتها عبر مكان كانت تتبدل فيه تيارات الهواء، ... تارة كانت تصلني باردة وأخرى دافئة. خمنت بيني وبين نفسي أنهم يقودونني عبر ممر فيه أبواب ونوافذ زجاجية.
فتح باب، ومن صوت حركته علمت أنه باب كبير.

أدخلت مع العربة بحيث عادت تلك المقابض الجلفة تمسك بيديّ ورجليّ، ورفعتني إلى سرير ناعم طري وبعدها ربطت أطرافي. وبعد أن نزع ذاك الجهاز عن أنفي شعرت بفرق بسيط ... بث المكان الذي أدخلت فيه تياراً كالذي كان يبثه الجهاز.

أشعر أن الأرض تحتي بدأت تتحرك قدماً.

- أين تأخذونني يا ويلكم من الله أين أهلي.

يتقدم السرير أكثر لأشعر بضوء يخترق جفنيّ. وما لبث ذاك السرير أن تقلب بي من جهة إلى أخرى وهو يتقدم ومن ثم يعود إلى الوراء.

- ما هذا هل أخذوني إلى مدينة أطفال وأركبوني القلابة.

ما هي إلا لحظات و.إذا بي أسمع صوتاً قادما من بعيد يقول:كل شيء انتهى عودوا به.

حملتني المقابض إلى تلك العربة التي أتت بي. وبعد أن أعيد الجهاز إلى أنفي أنعشني ما بثه فيّ.

تحركت العربة في ذاك الممر. وقبل وصولي إلى الغرفة سمعت أمي وخالي يكلمانني مكررين عبارات اعتدت سماعها.

يغلق الباب حيث بقي الجميع خارجا.

لم أنا هنا لم لا يتركونني ...أذهب مع أهلي؟ كيف يتصرفون هكذا؟ هل سلبت إرادتي أم أنه لم يعد لرأيي أية قيمة، ما هذا يا ربي كم هو قاس أن يجرد الإنسان من إرادته !

وبعد برهة فتح الباب ليدخل عدة أشخاص مرة أخرى أميز من بينهم الطبيب الشهير من صوته حيث قال:

- خذوه وجهزوه لنجري له عملية جراحية إسعافية في جمجمته كونه أصيب بنزف قد يودي بحياته.

يا إلهي من أين أتى هذا النزيف لا أشعر بأي ألم لا في رأسي ولا بأي مكان آخر من جسدي.لم تجرون لي هذه العملية

" حاضر يا دكتور" رد عليه كل من كان في الغرفة.

مرة ثانية حملتني تلك المقابض اللعينة ووضعتني على نقالة أقلتني عبر ممر دافئ أوصلني إلى غرفة دافئة نسبياًَ. بعد أن رفع الجهاز عن أنفي نقلت إلى سرير ثابت حيث ربطت أطرافي مرة أخرى.

بث المكان من حولي برودة بسيطة أثناء قيام مجموعة من الأشخاص بإلصاق عدة قطع على جسدي موصلة بحبال قادمة من أماكن عدة .

أشعر بوخزة في زندي وشيء يعبر جسدي مثيرا نعاسا أخذ يتسلل ببطء. وبعد ذلك رفع الجهاز ليوضع آخر مكانه قام ببث تيار زاد من ارتخائي ونعاسي شيئا فشيئا إلى أن شعرت أن كل جسدي قد انساب مني، ولم أعد أستطيع السيطرة ولا حتى على شعرة من جسدي الذي سبح في فضاء حوى ماءً صافياً رقراقاً كماء بركة واسعة ما لبثت أن بدأت تتسع لتصبح بحيرة أخذت بدورها تتسع لتصبح بحرا كبيرا لا نهاية له. طفوت على صفحته سابحا يقودني تيار هادئ كمركب شراعيّ تدفعه الأنسام عبر ماء سلسبيل .

توغلت أكثر فأكثر في لجج هذا اليم الهادئ. وأنا في هذه الحالة بدا لي من بعيد مركب يشبه سفينة صغيرة بيضاء أخذت تقترب مني أكثر فأكثر حتى صارت بمحاذاتي. أمعنت النظر فيها محاولا تمييز من يعتلون سطحها....يا لسعادتي ها هم أصدقائي في القرية وزملائي في الجامعة، كيف اجتمع كل هؤلاء في مكان واحد بل كيف تم التعارف فيما بينهم.

هتف الجميع باسمي منادين وملوحين بأيديهم تعال واصعد معنا ورافقنا ، رددت ملوحا قائلا لا سأبقى هنا برهة ثم سألحق بكم.

تابعت السفينة سيرها مبتعدة إلى أن تلاشت وكأن ذاك المحيط قد ابتلعها . طارت فوق رأسي طيور بحرية متنوعة طغى عليها نوارس بيضاء أخذت تقترب مني وتبتعد.

استمرت مغامرتي هذه فترة ليست بالقصيرة ... بدأت الشمس تغرب ببطء .

وأخذ الغسق يتسلل شيئا فشيئا ليعم الطبيعة بلونه النحاسي الذي بدأ يحمر إلى أن أصبح خمرياً. وبدت الشمس عند خط الأفق حيث يلتقي بالبحر مثل كأس نبيذ هائل يضيء الكون عبر أشعة إلهية.

استمرت الشمس بالنزول ، وبكل هدوء عم الظلام بحيث لمعت النجوم في السماء الصافية.

أشعر بأنسام معاكسة للتيارات التي قادتني في رحلتي هذه بحيث بدأ مركبي يتحرك عائدا بكل سلاسة وهدوء وكأنه مركب ورقي وضع في بركة ماء منزلية وأخذ طفل ينفخ عليه محركا إياه بالاتجاه الذي يريده.

استمرت رحلة عودتي فترة شعرت خلالها بأنسام تعم جسدي نتيجة دخول سائل عبر أنبوب كان قد غرس في زندي وأخذ يدفع أمامه ستار النعاس الذي كان قد سيطر عليّ رويدا.. رويدا.

**تمت**

في((٢٠٠٧/٤/١))